المنهج العلمي

لطلاب العلم الشرعي

وبعض الفوائد والنكات العلمية

راجعه وقرظه

فضيلة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

تأليف

ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي



المنهج العلمي

لطلاب العلم الشرعي

وبعض الفوائد والنكات العلمية

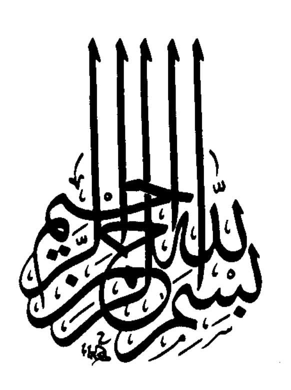
راجعه وقرظه

فضيلة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

تأليف

ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي


بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

للمراسلة على البريد الإلكتروني :turki_1428@hotmail.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَحْدَه، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى مَنْ لا نَبِيَّ بَعْدَه مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِه.

وبَعْدُ؛ فَقَدْ قَرَأتُ هَذِه الرِّسَالَةَ الَّتِي ألَّفَها أخُوْنا الشَّيْخُ : ذِيَابُ بنُ سَعْدٍ الغَامِدِيُّ حَفِظَه اللهُ تَعَالَى ووَفَّقَه!

والَّتِي نَصَحَ فيها طَلبَةَ العِلْمِ الصَّحِيْحِ، وبَيَّنَ طُرُقَ التَّعَلُّمِ، وفَصَّلَ العِلْمَ، ووَسَائِلَه، وأسْبَابَ تَحْصِيْلِه، وذَكَرَ بَعْضَ الكُتُبِ الَّتِي يَهِمُّ الطَّالِبُ أنْ يَقْرَأها، وحَذَّرَ الطَّالِبَ مِنَ العَوَائِقِ الَّتِي تَشْغُلُه عَنِ التَّحْصِيْلِ، وفَصَّلَ في ذَلِكَ .

فَجَزَاهُ اللهُ أحْسَنَ الجَزَاءِ، وأكْثَرَ في الأمَّةِ مِنْ حَمَلَةِ العِلْمِ الَّذِيْنَ يَهْتَمُّوْنَ بالطَّلَبِ، ويَحْرِصُوْنَ عَلَى التَّعَلُّمِ والتَّعْلِيْمِ والتَّطْبِيْقِ، واللهُ أعْلَمُ .

وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِه وسَلَّمَ

(٢٦/ ٥/ ١٤٢٥ هـ)

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله حَمْدًا كَثِيْرًا، طَيِّبًا مُبارَكًا فيه، القَائِلِ ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، والقَائِلِ ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى عَبْدِه ورَسُوْلِه المَبْعُوْثِ رَحْمَةً للعَالَمِيْن، القَائِلِ: «**طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[1]، والقَائِلِ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِه خَيْرًا يُفقِّهْهُ في الدِّيْنِ**»[2]!

أمَّا بَعْدُ: فإنَّ أوْلَى مَا يَتَنَافَسُ فيه المُتَنافِسُوْنَ، وأحْرَى مَا يَتَسابَقُ في حَلَبَتِهِ المُتَسابِقُوْنَ: العِلْمُ الشَّرْعِيُّ، فَهُوَ الكَفيلُ الضَّامِنُ بالسَّعَادَةِ البَاطِنَةِ والظَّاهِرَةِ، والدَّلِيْلُ الآمِنُ إلى خَيْرَيْ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

وأدَلُّ شَيْءٍ عَلَى ذَلِكَ؛ أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قَدِ اخْتَصَّ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ أحَبَّ، فَهَدَاهُم للإيْمَانِ، ثُمَّ اخْتَصَّ مِنْ سَائِرِ المُؤْمِنِيْنَ مَنْ أحَبَّ؛ فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِم فَعَلَّمَهُم الكِتَابَ والحِكْمَةَ، وفَقَّهَهُم في الدِّيْنِ، وعَلَّمَهُم التَّأوِيْلَ،

---

(١) أخْرَجَهُ ابنُ عَدِيٍّ في «الكَامِلِ» (٣/ ١١٠٧)، والبَيْهَقِيُّ في «المَدْخَلِ» (٣٢٤) وغَيْرُهُما، وهُوَ حَسَنٌ بشَوَاهِدِه.

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١/ ٢٧)، ومُسْلِمٌ (٣/ ٩٥).

وفَضَّلَهُم عَلَى سَائِرِ المُؤْمِنِيْنَ، وذَلِكَ في كُلِّ زَمَانٍ وأوَانٍ؛ رَفَعَهُم بالعِلْمِ، وزَيَّنَهُم بالحِلْمِ، بِهِمْ يُعْرَفُ الحَلالُ مِنَ الحَرَامِ، والحَقُّ مِنَ البَاطِلِ، والضَّارُ مِنَ النَّافِعِ، والحَسَنُ مِنَ القَبِيْحِ[1].

إنَّه العِلْمُ النَّافِعُ والعَمَلُ الصَّالِحُ اللَّذَانِ لا سَعَادَةَ للعَبْدِ إلاَّ بِهِما، ولا نَجاةَ لَهُ إلاَّ بسَبَبِهِما، فَمَنْ رُزِقَهُما فَقَدْ فَازَ وغَنِمَ، ومَنْ حُرِمَهُما فَقَدْ خَسِرَ وغَرِمَ، وهُمَا مَوْرِدُ انْقِسَامِ العِبَادِ إلى مَرْحُوْمٍ ومَحْرُوْمٍ، وبِهِما يَتَمَيَّزُ البَرُّ مِنَ الفَاجِرِ، والتَّقِيُّ مِنَ الغَوِيِّ، والمُؤْمِنُ مِنَ المُنَافِقِ، والظَّالِمُ مِنَ المَظْلُوْمِ، وهَاكَ حَقًّا: **«خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ في مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، ولا فِقْهٌ في الدِّيْنِ»**[2]!

نَاهِيْكَ؛ أنَّ السَّمَوَاتِ والأرْضَ ما قَامَتَا إلاَّ بالعِلْمِ، بَلْ مَا بُعِثَ الرُّسُلُ، وما أُنْزِلَتِ الكُتُبُ، ومَا فُضِّلَ الإسْلامُ عَلَى غَيْرِه إلاَّ بِهِ، وفَوْقَ ذَلِكَ؛ ما عُبِدَ اللهُ، ولا عُرِفَ الإيْمَانُ مِنَ الكُفْرِ إلاَّ بِهِ!

* * *

فَشَمِّرْ يا طَالِبَ العِلْمِ، سَائِلاً اللهَ تَعَالَى: الإرَادَةَ الصَّادِقَةَ، والعِلْمَ النَّافِعَ، واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُم بالعِلْمِ والإيْمَانِ.

---

(١) انْظُرْ «أخْلاقَ العُلَمَاءِ» للآجُرِّي (١٤) بتَصَرُّفٍ.

(٢) أخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٦٨٤)، وهُوَ صَحِيْحٌ.

فإنَّه لا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ، ولا يُطْلَـبُ بـالتَّمَنِّي والـتَّحَلِّي، وقَدْ قِيْلَ: مَنْ طَلَبَ الرَّاحَةَ تَـرَكَ الرَّاحَـةَ؛ إنَّمَـا العَزِيْمَـةُ الـصَّادِقَةُ، والهِمَّـةُ العَالِيَةُ، ولا يَحْزُنْكَ فَاتِرُ العَزِيْمَةِ، ودَعِيُّ العِلْمِ، فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَيْهِم أسَفًا؟!

فَقَدْ رَأَيْنا كَثِيْرًا مِنْ طُلابِ زَمَانِنا قَدِ اسْـتَطَابُوا الدَّعَـةَ، واسْـتَوْطَؤُوا مَرْكَبَ العَجْزِ، وأعْفَوْا أنْفُسَهُم مِنْ كَدِّ النَّظَرِ، وقُلُوْبَهُم مِنْ تَعَـبِ الفِكْـرِ ... فلَعَمْرِي أيْنَ مَنَالُ الدَّرَكِ بغَيْرِ سَبَبٍ، وأيْنَ نَوَالُ البِغْيَةِ بغَيْرِ آلَةٍ؟ فإنَّ دُوْنَ مَا يَشْتَهُوْنَ خَرْطُ القَتَادِ، وبَيْنَ مَا يَتَمَنَّوْنَ بَرْكُ الغِمَادِ!

***

فاعْلَمْ رَعَاكَ اللهُ؛ أنَّ جَمْهرةً مِنْ أهْلِ العِلْمِ قَدْ حَازُوا قَـصَبَ الـسَّبْقِ في خِدْمَةِ هَذِه الجادَّةِ العَلِيَّـةِ، ورَسْـمِ بَـصَائِرِها لـشَادِي العِلْـمِ مِـنْ خِـلالِ تَوَالِيْفَ عِلْمِيَّةٍ، ومُصَنَّفَاتٍ مُسْتَقِلَّةٍ ... غَيْرَ أنَّنِي لَمَّا رَأيْـتُ شَـأنَهَا بَـيْنَ أهْـلِ زَمَانِنا في نُقْصَانٍ، ومُدَارَسَتَها في نِسْيَانٍ، وكَادَ يَذْهَبُ رَسْمُها، ويَعْفُو أثَرُهـا؛ عِنْدها أحْبَبْتُ أنْ أرْمِيَ بِسَهْمٍ في رِيَاضِ العِلْمِ، مُسَاهَمَةً مِنِّي في رَسْمِ (المَنْهجِ العِلْمِيِّ) لِطُلابِ العلمِ؛ يَوْمَ نَادَى كَثِيْرٌ مِمَّنْ تَجِـبُ عَلَيْنـا إجَـابَتُهُم في إحْيَـاءِ

هَذِه الجَادَّةِ، وتَبْصِيرِ مَنَارَاتِها ... فعَسَانِي آخُذُ بيَدِ مَنْ رَامَ إرْثَ الأنْبِيَاءِ إلى بَابِ العِلْمِ، بِسَبِيْلٍ قَرِيْبٍ، ونَظَرٍ أرِيْبٍ، مِمَّا سَيُقَرِّبُ الطَّرِيْقَ للمُبْتَدِي، ويُبَصِّرُ السَّبِيْلَ للمُنْتَهِي، والعَاقِبَةُ للتَّقْوَى[1].

ومَا كُنْتُ مُسْتَنْكِفًا في هَذِه الطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ لكِتَابِ (المَنْهجِ العِلْمِيِّ) مِنْ تَوْرِيْدِ بَعْضِ الزِّيَادَاتِ العِلْمِيَّةِ والتَّصْحِيْحَاتِ القَيِّمَةِ الَّتِي قَضَاها مَحْضُوْضُ النَّصِيْحَةِ، ومَمْحُوْصُ الأمَانَةِ، فَإلى المَوْعُوْدِ، وإلى الله تُرْجَعُ الأمُوْرُ[2]!

---

(١) هُنَاكَ كَثِيْرٌ مِنَ التَّوَالِيْفِ العِلْمِيَّةِ الآخِذَةِ بيَدِ طَالِبِ العِلْمِ إلى بَيَانِ مَنْهَجِ العِلْمِ والتَّعَلُّمِ، وفَضَائِلِه، وغَوَائِلِه، وطَرَائِقِه، وشَرَائِطِهِ، وآدَابِه، فَمِنْ جِيَادِها وحِسَانِها: «جَامِعُ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابنِ عَبْدِ البرِّ، و«الجامِعُ لآدَابِ الرَّاوي» و«الفَقِيْهُ والمُتَفَقِّهُ» كِلاهُمَا للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ، و«أخْلاقُ العُلَمَاءِ» للآجُرِّي، و«تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتَكَلِّمِ» لابنِ جَمَاعَةَ، و«تَعْلِيْمُ المُتَعَلِّمِ طَرِيْقَ التَّعَلُّمِ» للزَّرْنُوْجِيِّ، و«أدَبُ الطَّلَبِ» للشَّوكَانِيِّ، و«حِلْيَةُ طَالِبِ العِلْمِ» لبكرٍ أبو زَيْدٍ، وهُنَاكَ غَيْرُ مَا ذُكِرَ.

(٢) كَانَ الانْتِهاءُ مِنْ تَصْحِيْحَاتِ هَذِه الطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ ضُحَى يَوْمِ الأرْبِعَاءِ، المُوَافِقَ للعِشْرِيْنَ مِنْ شَوَّالٍ، لعَامِ ألْفٍ وأرْبَعمِائَةٍ وثَمانٍ وعِشْرِيْنَ (٢٠/ ١٠/ ١٤٢٨).

وذَلِكَ مِنْ خِلالِ ثَلاثَةِ مَدَاخِلَ، وأرْبَعَةِ أبْوَابٍ مُخْتَصَرَةٍ، كَمَا يَلي :

المَدْخَلُ الأوَّلُ : أهَمِيَّةُ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ .

المَدْخَلُ الثَّاني : فَضْلُ عُلُوْمِ الغَايَةِ عَلَى عُلُوْمِ الآلَةِ .

المَدْخَلُ الثَّالثُ : وفيه أرْبَعُ طَلائِعَ .

البَابُ الأوَّلُ : وفيهِ أرْبَعُ مَرَاحِلَ عِلْمِيَّةٍ .

البَابُ الثَّاني : وفيهِ خَمْسُ تَنَابِيْه .

البَابُ الثَّالثُ : وفيهِ ثَلاثُ عَزَائِمَ .

البَابُ الرَّابعُ : وفيهِ خَمْسةُ عَوَائِقَ .

والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى عَبْدِه ورَسُوْلِه الأمِيْنِ

وكَتَبَهُ

ذِيَابُ بْنُ سَعْدِ آلِ حَمْدَانَ الغَامِدِيّ

في لَيْلَةِ الأحَدِ لعَشْرٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ لِعَامِ ألْفٍ وأرْبَعْمَائَةٍ وخَمْسَةٍ وعِشْرِيْنَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، حُرِّرَ في (٢٠/ ٢/ ١٤٢٥)





المَدَاخِلُ العِلْمِيَّةُ

وفيه ثَلاثَةُ مَدَاخِلَ

المَدْخَلُ الأوَّلُ : أهَمِيَّةُ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ

المَدْخَلُ الثَّاني: فَضْلُ عُلُوْمِ الغَايَةِ عَلَى عُلُوْمِ الآلَةِ

المَدْخَلُ الثَّالثُ : وفيه أرْبَعُ طَلائِعَ



المَدْخَلُ الأوَّلُ

أهَمِّيَةُ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ

نَعَمْ؛ فإنَّ النَّاسَ أحْوَجُ إلى العِلْمِ مِنْهُم إلى الطَّعَامِ والشَّرَابِ، لاسِيَّما هَذِه الأيَّامَ الَّتِي نَطَقَ فيها الرُّوَيْبِضَةُ، ونَعَقَ بَيْنَها غُرَابُ الصَّحَافَةِ، مَعَ نَفَثَاتِ المُرْجِفِينَ، وتَخْذِيلِ المُتَعَالِمِيْنَ!

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر٩].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة١١].

* * *

وعَنْ أبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يَقُوْلُ:

«مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ له طَرِيْقًا إلى الجَنَّةِ، وإنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَها لطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وإنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَه مَنْ في السَّمَوات ومَنْ في الأرْضِ حَتَّى الحِيْتَانَ في المَاء، وفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وإنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبِيَاء، إنَّ الأنْبِيَاءَ لَم

يُوَرِّثُوا دِيْنَارًا ولا دِرْهَمًا إنَّمَا ورَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أخَذَهُ أخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ»[١] أحمَدُ وغَيرُهُ.

وقَالَ أيضًا ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِه خَيْرًا يُفقِّهْهُ في الدِّيْنِ»[٢] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ عَلَيٌّ بنُ أبِي طَالِبٍ رَضِي اللهُ عَنْه[٣]:

النَّـاسُ في جِهَةِ التَّمْثِيْلِ أكْفَـاءُ   أبُوْهُـمُ آدَمُ والأُمُّ حَـوَّاءُ

نَفْسٌ كَنَفْسٍ وأرْوَاحٌ مُشَاكِلَـةٌ   وأعْظُمٌ خُلِقَتْ فيهِم وأعْضَـاءُ

فإنْ يَكُنْ لَهُم مِنْ أصْلِهِم حَسَبٌ   يُفَاخِرُوْنَ بِـه فالطِّيْنُ والمَـاءُ

---

(١) أخْرَجَهُ أحْمَدُ (٥/ ١٩٦)، وابنُ مَاجه (٢٢٥)، وأبُو دَاوُدَ (٣٦٤١)، وهُوَ حَسَنٌ بشَوَاهِدِه.

تَنْبِيْهٌ: انْظُرْ لِزَامًا شَرْحَ هَذَا الحَدِيْثِ لابنِ رَجَبٍ الحَنْبَلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، في رِسَالَتِه «شَرْحِ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ»، فَفيه مِنَ الدُّرَرِ والجَوَاهِرِ ما يُعْقَدُ عَلَيْها الخَنَاصِرُ!

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١/ ٢٧)، ومُسْلِمٌ (٣/ ٩٥).

(٣) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٢١٨)، وبَعْضُ المُحَقِّقِيْنَ يَنْسِبُ هَذِه الأبْيَاتِ إلى عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ القَيْرَوَانِيِّ.

تَنْبِيْهٌ: العَامَّةُ تَقُوْلُ: «قِيْمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ»، والخَاصَّةُ تَقُوْلُ: «قِيْمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ»!

مَا الفَضْلُ إلاَّ لأهْلِ العِلْمِ إنَّهُـم ... عَـلَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أدِلاءُ

وقَدْرُ كُـلِّ امْرِئٍ مَـا كَانَ يُحْسِنُه ... وللرِّجَالِ عَلَى الأفْعَالِ أسْمَـاءُ

* * *

قَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «العِلْمُ ذَكَرٌ؛ يُحِبُّهُ ذُكُوْرَةُ الرِّجَالِ ، ويَكْرَهُهُ مُؤَنَّثُوْهُم»[1] .

أرَادَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَـهُ اللهُ : أنَّ العِلْـمَ أرْفَـعُ المَطَالِـبِ وأجَلُّهَـا، كَـمَا أنَّ الذُّكُوْرَ أفْضَلُ مِنَ الإنَاثِ ، فألِبَّاءُ الرِّجَالِ وأهْلُ التَّمْيِيْزِ مِنْهُم يُحِبُّوْنَ العِلْـمَ، ولَيْسَ كـالرَّأيِّ الـسَّخِيْفِ الَّـذِي يُحِبُّـه سُـخَفَاءُ الرِّجَـالِ، فَـضَرَبَ التَّـذْكِيْرَ والتَّأنِيْثَ مَثَلاً[2] .

* * *

(١) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٢٥١)، و«الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَـيْمٍ (٣/ ٣٦٥)، و«شَرَفَ أصْحَابِ أهْلِ الحَدِيْثِ» للخَطِيْبِ البَغْـدَادِيِّ (٧٠-٧١)، وبَعْضُهم يَنْسِبُها لعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِـبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ، انْظُـرْ «المَجْمُـوْعَ» للنَّـوَوِيِّ (١/ ٤١) .

(٢) انْظُرْ «المُجَالَسَةَ» لأبِي بَكْرٍ الدِّيْنَوَرِيِّ (٣/ ٤٢٦-٤٢٧) بنَحْوِه .

فَعِنْدَها عَلَيْكَ يا هَذَا : بِمُرَافَقَةِ الأَمْوَاتِ الَّذِيْنَ هُم في العَالَمِ أَحْيَاءٌ؛ فإنَّهُم يَدُلُّوْكَ السَّبِيْلَ، واحْذَرْ مِنْ مُرَافَقَةِ الأحْيَاءِ الَّذِيْنَ هُمْ في النَّاسِ أَمْوَاتٌ؛ فإنَّهُم يُضِلُّوْكَ الطَّرِيْقَ!

ولا تَنْسَ قَوْلَ ابنِ مَسْعُوْدٍ رَحِمَهُ اللهُ : «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا؛ فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فإنَّ الحَيَّ لا تُؤْمَنُ عَلَيْه الفِتْنَةُ»!

ومِنْ مُسْتَجَادِ مَا قِيْلِ في فَضْلِ أَهْلِ العِلْمِ، مَا خَطَّتْهُ يَدُ الآجُرِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ في كِتَابِهِ «أَخْلاقِ العُلَمَاءِ» (١٤)، إذْ يَقُوْلُ عَنْهُم : «فَضْلُهُم عَظِيْمٌ، وخَطَرُهُم جَزِيْلٌ، وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ، وقُرَّةُ عَيْنِ الأوْلِيَاءِ، الحِيْتَانُ في البِحَارِ لَهُم تَسْتَغْفِرُ، والمَلائِكَةُ بأجْنِحَتِها لَهُم تَخْضَعُ، والعُلَمَاءُ في القِيَامَةِ بَعْدَ الأنْبِيَاءِ تَشْفَعُ، مَجَالِسُهُم تُفِيدُ الحِكْمَةَ، وبأعْمَالِهِم يَنْزَجِرُ أَهْلُ الغَفْلَةِ .

هُمْ أَفْضَلُ مِنَ العُبَّادِ، وأَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الزُّهَّادِ، حَيَاتُهُم غَنِيْمَةٌ، ومَوْتُهُم مُصِيْبَةٌ، يُذَكِّرُوْنَ الغَافِلَ، ويُعَلِّمُوْنَ الجَاهِلَ، لا يُتَوَقَّعُ لَهُم بائِقَةٌ، ولا يُخَافُ مِنْهُم غَائِلَةٌ، بِحُسْنِ تَأْدِيْبِهِم يَتَنَازَعُ المُطِيْعُوْنَ، وبِجَمِيْلِ مَوْعِظَتِهِم يَرْجِعُ المُقَصِّرُوْنَ ...!

فَهُم سِرَاجُ العِبَادِ، ومَنَارُ البِلادِ، وقِوَامُ الأُمَّةِ، ويَنَابِيْعُ الحِكْمَةِ، هُمْ

غَيْظُ الشَّيْطَانِ، بِهِم تَحْيَا قُلُوْبُ أهْلِ الحَقِّ، وتَمُوْتُ قُلُوْبُ أهْلِ الزَّيْغِ، مَـثَلُهُم في الأرْضِ كَمَثَلِ النُّجُوْمِ في السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِها في ظُلُـمَاتِ الـبَرِّ والبَحْـرِ، إذا انْطَمَسَتِ النُّجُوْمُ تَحَيَّرُوا، وإذا أسْفَرَ عَنْها الظَّلامُ أبْصَرُوا» انْتَهى .

* * *

ومَهْمَا يَكُنْ؛ فَلا تَحْزَنْ يا طَالِـبَ العِلْـمِ، عَـلَى ظُهُـوْرِ الجَهْـلِ، وقِلَّـةِ العِلْمِ، وقَبْضِ العُلَماءِ، واتِّخَاذِ النَّاسِ رُؤوْسًا جُهَّالاً فَضَلُّوا وأضَـلُّوا ... فَيَـا هَذَا عَلَيْكَ بِزَادِ الأنْبِيَاءِ، وغِذَاءِ العُقَلاءِ : عِلْمٌ يَنْفَعُ، وعَمَلٌ يُرْفَعُ .

كَمَا قَالَ تَعَالى : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة ٢٧] .

وكَذَا : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر ١٠].

* * *

وبَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَكَ يا طَالِبَ العِلْمِ مَخْرَجًا؛ فَكُنْ رَابعَ أرْبَعَةٍ : عَالِمًا، أو مُتَعَلِّمًا، أو مُسْتَمِعًا، أو مُحِبًّا .

وأُعِيْذُكَ باللهِ أنْ تَكُنَ الخَـامِسَ فتَهْلَـكَ : وهُوَ مُعَادَاةُ أهْلِ العِلْـمِ، أو بُغْضُهُم !

وهَاكَ مِنْ شَذَاتِ العِلْمِ وفَضَائِله، مَا قَالَهُ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «تَعَلَّمُوا العِلْمَ فإنَّ تَعَلُّمَه لله خَشْيَةٌ، وطَلَبَهُ عِبَادَةٌ، ومُدَارَسَتَهُ تَسْبِيْحٌ، والبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ، وتَعْلِيْمَه لِمَنْ لا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ، وبَذْلَهُ لأهْلِهِ قُرْبَةٌ!

لأنَّه مَعَالِمُ الحَلالِ والحَرَامِ، والأنِيْسُ في الوَحْشَةِ، والصَّاحِبُ في الخَلْوَةِ، والدَّلِيْلُ عَلَى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، والزَّيْنُ عِنْدَ الأخِلاَّءِ، والقُرْبُ عِنْدَ الغُرَبَاءِ .

يَرْفَعُ اللهُ بِه أقْوَامًا فَيَجْعَلَهُم في الخَلْقِ قُدَاةً يُقْتَدَى بِهِم، وأئِمَّةً في الخَلْقِ تُقْتَصُّ آثَارُهُم، ويُنْتَهَى إلى رَأيِهِم، وتَرْغَبُ المَلائِكَةُ في حُبِّهِم؛ بأجْنِحَتِهِم تَمْسَحُهُم، حَتَّى كُلُّ رَطِبٍ ويَابِسٍ لَهُم مُسْتَغْفِرٌ، حَتَّى حِيْتَانُ البَحْرِ وهَوَامُه، وسِبَاعُ البَرِّ وأنْعَامُه، والسَّمَاءُ ونُجُوْمُها؛ لأنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوْبِ مِنَ العَمَى، ونُوْرُ الأبْصَارِ مِنَ الظُّلَمِ، وقُوَّةُ الأبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ .

يَبْلُغُ بِه العَبْدُ مَنَازِلَ الأحْرَارِ ومُجَالَسَةَ المُلُوْكِ، والدَّرَجَاتِ العُلَى في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، والفِكْرُ بِه يُعْدَلُ بالصِّيَامِ، ومُدَارَسَتُه بالقِيَامِ، بِه يُطَاعُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ، وبِه يُعْبَدُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ!

وبِه تُوْصَلُ الأرْحَامُ، وبِه يُعْرَفُ الحَلالُ مِنَ الحَرَامِ، إمَامُ العَمَلِ، والعَمَلُ

تَابِعُه، يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ، ويُحْرَمُهُ الأشْقِيَاءُ»[١] انْتَهَى .

* * *

فَلأجْلِ هَذَا؛ أحْبَبْتُ أنْ أطْرُقَ هَذِه الجَادَّةَ العِلْمِيَّةَ؛ عَسَانِي أدُلُّ السَّالِكَ، وأحُثُّ الهِمَمَ إلى طَرْقِ بَابِ العِلْمِ، دُوْنَـهَا إعْيَاءٍ وكِلالٍ، وطُوْلٍ ومِلالٍ، قَدْ لا يُحَصِّلُ شَادِي العِلْمِ فيه كَبِيْرَ فَائِدَةٍ، أو عَظِيْمَ عَائِدَةٍ، أو غَيْرَه مِنْ مَبَاغِي العِلْمِ ومَنَارَاتِه؛ مِمَّا نَدَّتْ عَنْهُ أكْثَرُ أطَارِيْحِ أهْلِ زَمانِنَا؛ لِجَهْلِهِم بطَرَائِقِ الطَّلَبِ ومَدَارِجِهِ الآخِذَةِ بِرِقَابِ العِلْمِ؛ فَنًّا بَعْدَ فَنٍّ، وبَابًا قَبْلَ بَابٍ، وهَكَذا دَوَالَيْكَ مِمَّا هُوَ طَوْعُ يَدَيْكَ!

* * *

وهَذَا مَا ذَكَرَه ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِه في كِتَابِهِ «الفَوَائِدِ» (٣٠٤) : «الجَهْلُ بالطَّرِيْقِ وآفَاتِها والمَقْصُوْدِ : يُوْجِبُ التَّعَبَ الكَثِيْرَ مَعَ الفَائِدَةِ القَلِيْلَةِ» .

وقَدْ قِيْلَ : «مَنْ لَمْ يُتْقِنِ الأُصُوْلَ؛ حُرِمَ الوُصُوْلَ» .

---

(١) انْظُرْ «أخْلاقَ العُلَمَاءِ» للآجُرِّي (٣٧)، و«جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٥٥)، و«تَذْكِرَةَ السَّامِعِ والمُتَكَلِّمِ» لابنِ جَمَاعَةَ (١١)، و«شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ» لابنِ رَجَبٍ (٣٨) وفيهِ ضَعْفٌ .

وكَذَا «مَنْ حُرِمَ الدَّلِيْلَ، ضَلَّ السَّبِيْلَ»!

* * *

وعَنْ يُوْنُسَ بنِ يَزِيْدَ قَالَ: قَالَ لي ابْنُ شِهَابٍ: «يا يُوْنُسُ! لا تُكَابِرِ العِلْمَ، فإنَّمَا هُوَ أوْدِيَةٌ، فأيُّها أخَذتَ فيه قَبْلَ أنْ تَبْلُغَهُ قُطِعَ بِكَ، ولَكِنْ خُذْهُ مَعَ اللَّيَالي والأيَّامِ»(١).

ورَحِمَ اللهُ الزَّرْنُوجِيَّ حَيْثُ قَطَعَ عَنِّي حَبَائِلَ الرَّهْبَةِ، ورَفَعَ عِنْدِي آمَالَ الرَّغْبةِ، بقَوْلِه في «تَعْلِيْمِ المُتَعَلِّمِ» (٥٣): «فلَمَّا رَأيْتُ كَثِيْرًا مِنْ طُلابِ العِلْمِ في زَمَانِنا يَجِدُّوْنَ إلى العِلْمِ ولا يَصِلُوْنَ، ومِنْ مَنَافِعِه وثَمَرَاتِهِ يُحْرَمُوْنَ، لِمَا أنَّهُم أخْطَئُوا طَرَائِقَه، وتَرَكُوا شَرَائِطَه، وكُلُّ مَنْ أخْطأ الطَّرِيْقَ ضَلَّ، ولا يَنَالُ المَقْصُوْدَ قَلَّ أو جَلَّ» انْتَهى.

وكَذَا مَا هُنَاكَ مِنْ تَنَابِيْهَ تَدْفَعُ بِمِثْلِي، في صُنْعِ هَذَا المَنْهَجِ، وهُوَ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الحَنَابِلَةِ في عَصْرِه ابنُ بَدْرَانَ رَحِمَهُ اللهُ بقَوْلِه في «المَدْخَلِ» (٤٨٥): «اعْلَمْ أنَّ كَثِيْرًا مِنَ النَّاسِ يَقْضُوْنَ السِّنِيْنَ الطِّوَالَ في تَعَلُّمِ العِلْمِ، بَلْ في عِلْمٍ وَاحِدٍ، ولا يُحَصِّلُوْنَ مِنْه عَلَى طَائِلٍ، ورُبَّمَا قَضَوْا أعْمَارَهُم فيه، ولَمْ

---

(١) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٤٣١).

يَرْتَقُوا عَنْ دَرَجَةِ المُبْتَدِئِيْنَ، وإنَّما يَكُوْنُ ذَلِكَ لأحَدِ أمْرَيْنِ :

أحَدُهُما : عَدَمُ الذَّكَاءِ الفِطْرِيِّ، وانْتِفَاءُ الإدْرَاكِ التَّصَوُّرِي، وهَذَا لا كَلامَ لَنَا فيه، ولا في عِلاجِه، والثَّانِي : الجَهْلُ بِطُرُقِ التَّعْلِيْمِ». انْتَهَى .

قَالَ ابْنُ أغْنَسَ[1] :

مَا أكْثَرَ العِلْمُ ومَا أوْسَعَه ... مَنَ الَّذِي يَقْدِرُ أنْ يَجْمَعَه

إنْ كُنْتَ لا بُدَّ لَهُ طَالِبًا ... مُحَاوِلاً فالْتَمِسْ أنْفَعَه

* * *

ومَعَ هَذَا؛ فإنَّنا لَمْ نَزَلْ (للأسَفِ!)، نَرَى كَثِيْرًا مِنْ أهْلِ زَمَانِنَا مِمَّنْ تَصَدَّرَ للعِلْمِ والتَّعْلِيْمِ؛ لا يَسْتَأخِرُوْنَ سَاعَةً في تَعْسِيْرِ العِلْمِ عَلَى المُبْتَدِئِيْنَ، وتَنْفِيرِ المُقْبِلِيْنَ عَلَيْه، وذَلِكَ بتَفْرِيْعِ أُصُوْلِه، وتَشْقِيْقِ فُرُوْعِه، مَا يَقْضِي بِقَطْعِ الطَّرِيْقِ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ، وحِرْمَانِ الكَثِيْرِ مِنْ دُرُوْسِ العِلْمِ .

فَتَارَةً نَجِدُهُم يَتَوَسَّعُوْنَ لَهُم في المُخْتَصَرَاتِ، وتَارَةً يَتَكَلَّفُوْنَ لَهُم في الكَلِمَاتِ، فلَكُمُ اللهُ يا طُلابَ العِلْمِ مِنْ زَبَدِ المُدَرِّسِيْنَ، وسَوَالِبِ المُتَفَيْقِهِيْنَ!

* * *

---

(١) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٤٣٧) .

يَقُوْلُ اللهُ تَعَالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج٧٨]، وقَالَ أيْضًا عَنْ نَبيِّهِ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ : ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص٨٦] .

وقَالَ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ : «إنَّ الدِّيْنَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّيْنَ أحَدٌ إلاَّ غَلَبَهُ، فسَدِّدُوا وقَارِبُوا وأبْشِرُوا واسْتَعِيْنُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[1]! البُخَارِيُّ .

وقَالَ الإمَامُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَه اللهُ : «إنَّما العِلْمُ عِنْدَنا الرُّخْصَةُ مِنْ ثِقَةٍ، فأمَّا التَّشْدِيْدُ فيُحْسِنُه كُلُّ أحَدٍ»[2] .

* * *

وهَذَا مَا نَصَّ عَلَيْه ابنُ بَدْرَانَ في «المَدْخَلِ» (٤٨٥) عِنْدَ قَوْلِه : «وهَذَا (الجَهْلُ بِطُرُقِ التَّعْلِيْمِ) وَقَعَ فيه غَالِبُ المُعَلِّمِيْنَ، فَتَرَاهُم يَأْتِي إلَيْهِم الطَّالِبُ المُبْتَدِئ ليَتَعَلَّمَ النَّحْوَ مَثَلاً فيُشْغِلُوْنَه بالكَلامِ عَلَى البَسْمَلَةِ، ثُمَّ عَلَى الحَمْدَلَةِ أيَّامًا بَلْ شُهُوْرًا، لِيُوْهِمُوْهُ سِعَةَ مَدَارِكِهِم، وغَزَارَةَ عِلْمِهِم، ثُمَّ إذا

(١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٣٩) .

(٢) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٧٨٤) .

قُدِّرَ لَهُ الخَلاصُ مِنْ ذَلِكَ، أخَذُوا يُلَقِّنُوْهُ مَتْنًا أو شَرْحًا بِحَوَاشِيْهِ وحَوَاشِي حَوَاشِيْه، ويَحْشُرُوْنَ له خِلافَ العُلَمَاءِ، ويُشْغِلُوْنَه بكَلامِ مَنْ رَدَّ عَلَى القَائِلِ، ومَا أُجِيْبَ بِه عَنِ الرَّدِّ!

ولا يَزَالُوْنَ يَضْرِبُوْنَ لَه عَلَى ذَلِكَ الوَتَرِ، حَتَّى يَرْتَكِزَ في ذِهْنِه أنَّ نَوَالَ هَذَا الفَنِّ مِنْ قَبِيْلَ الصَّعْبِ الَّذِي لا يَصِلُ عَلَيْه إلاَّ مَنْ أُوْتِي الوَلايَةَ، وحَضَرَ مَجْلِسَ القُرْبِ والاخْتِصَاصِ، هَذَا إذَا كَانَ المُلَقِّنُ يَفْهَمُ ظَاهِرًا مِنْ عِبَارَاتِ المُصَنِّفِينَ!» انْتَهَى .

***

فَلا يَضِيْقُ صَدْرَكُ يا طَالِبَ العِلْمِ بِمَا هُنَا؛ فَكُلُّ مَا رَسَمْنَاهُ في (المَنْهَجِ العِلْمِي)، لَمْ يَكُنْ زَبَدًا يَقْذِفُه طَيْشُ الفِكْرِ، أو رَذَاذَاتٍ يَلْفِظُها رَأسُ القَلَمِ ... بَلْ إنَّها مَعَالِمُ سَلَفيةٌ، وتَجَارُبُ عِلْمِيَّةٌ، قَدَ فَرَضَتْها الأمَانَةُ العِلْمِيَّةُ والنَّصِيْحَةُ الأخَوِيَّةُ!

كَمَا قَالَه ابنُ بَدْرَانَ رَحِمَه اللهُ في «المَدْخَلِ» (٤٩١) : «طُرُقُ التَّعْلِيْمِ أمْرٌ ذَوْقِيٌّ، وأمَانَةٌ مُوْدَعَةٌ عِنْدَ الأسَاتِذَةِ، فَمَنْ أدَّاهَا أُثِيْبَ عَلَى أدائِها، ومَنْ جَحَدَها كَانَ مُطَالَبًا بِهَا» انْتَهَى .

قَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ في «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ٢٦٢) : «وفيهِ تَنْبِيْهٌ للعُلَماءِ عَلى سُلُوْكِ هَدْي الأنْبِيَاءِ وطَرِيْقَتِهِم في التَّبْلِيْغِ؛ مِنَ الصَّبْرِ والاحْتِمالِ، ومُقَابَلَةِ إسَاءَةِ النَّاسِ بالإحْسَانِ، والرِّفْقِ بِهِم، واسْتِجْلابِهِم إلى الله بأحْسَنِ الطُّرُقِ، وبَذْلِ مَا يُمْكِنُ مِنَ النَّصِيْحَةِ لَهُم؛ فإنَّهُ بذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُم نَصِيْبُهُم مِنَ هَذا المِيْرَاثِ العَظِيْمِ قَدْرُهُ، الجَلِيْلِ خَطَرُهُ» انْتَهَى .

* * *

ومَا أحْسَنَ مَا قَالَهُ الزَّرْنُوجِيَّ رَحِمَه اللهُ تَعَالَى في كِتَابِ «تَعْلِيْمِ المُتَعَلِّمِ» (٧٩) :

«ويَنْبَغِي لطَالِبِ العِلْمِ أنْ لا يَخْتَارَ نَوْعَ العِلْمِ بنَفْسِهِ؛ بَلْ يفوِّضُ أمْرَه عَلى الأُسْتَاذِ، فإنَّ الأُسْتَاذَ قَدْ حَصَلَ لَهُ التَّجَارُبُ في ذَلِكَ فكَانَ أعْرَفَ بِما يَنْبَغِي لِكُلِّ أحَدٍ ومَا يَلِيْقُ بِطَبِيْعَتِه .

وكَانَ الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّيْنِ يَقُوْلُ رَحِمَهُ اللهُ : كَانَ طَلَبَةُ العِلْمِ في الزَّمَنِ الأوَّلِ يُفَوِّضُوْنَ أمْرَهُم في التَّعَلُّمِ إلى أُسْتَاذِهِم، وكَانُوا يَصِلُوْنَ إلى مَقْصُوْدِهِم ومُرَادِهِم، والآنَ يَخْتَارُوْنَ بأنْفُسِهِم، فَلا يَحْصُلُ مَقْصُوْدُهُم مِنَ العِلْمِ والفِقْهِ» انْتَهَى .

* * *

وقَدْ قِيْلَ :

ألاَ لَـنْ تَنَـالَ العِـلْـمَ إلاَّ بسِتَّـةٍ سَـأُنَبِّئُكَ عَنْ مَجْمُوْعِـها بِبَيَانِ

ذَكَـاءٌ وحِرْصٌ واجْتِهَادٌ وبُلْغَـةٌ وإرْشَادُ أُسْتَاذٍ وطُوْلُ زَمَانِ[1]

نَعَم؛ فإنَّه لا يَهْتَزُّ للعِلْمِ إلاَّ نُفُـوْسٌ أبِيَّـةٌ، قَـدِ ارْتَاضَـتْ عَـلَى الأنَفَـةِ والعِزَّةِ، وعُلُوِّ الهِمَّةِ والقَدْرِ، وأنِفَتْ مِنْ مَعَرَّةِ الجَهْلِ، ومَرَاتِعِ الذُّلِّ والهَوَانِ، وسَئِمَتْ تِيْهَ الحَيْرَةِ والتَّبَعِيَّةِ المَقِيْتَةِ!

❏❏❏

---

(١) انْظُرْ «تَعْلِيْمَ المُتعَلِّمِ» للزَّرْنُوجي (٧٠)، وقَدْ عَزَاه لعَلِيِّ بـنِ أبِي طَالِـبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقِيْلَ إنَّه مَنْسُوبٌ للشَّافِعِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، مَـعَ اخْـتِلافٍ في اللَّفْـظِ، انْظُـرْ «دِيْوَانَه» (١٦٣) .

المَدْخَلُ الثَّاني

فَضْلُ عُلُوْمِ الغَايَةِ عَلَى عُلُوْمِ الآلَة[1]

اعْلَمْ (رَحِمَني اللهُ وإيَّاكَ!)، إنَّ بَعْضَ المُتَصَدِّرِيْنَ للتَّعْلِيْمِ والتَّصْنِيْفِ، قَدْ تَوَسَّعُوا كَثِيْرًا في دُرُوْسِهِم العِلْمِيَّةِ مِنَ العُلُوْمِ الآليَّةِ تَوَسُّعًا مَشِيْنًا؛ مِمَّا كَانَ لَهُ أثَرٌ وتَأثِيْرٌ بَالِغَانِ عَلَى عُلُوْمِ الغَايَةِ، مَا جَعَلَ بَعْضَ طُلابِ العِلْمِ يَقِفُوْنَ في مُنْتَصَفِ الطَّرِيْقِ، لا عِلْمًا حَصَّلُوا، ولا فَنًّا أصَّلُوا ...!

لأجْلِ هَذَا؛ فاعْلَمْ يَا طَالِبَ العِلْمِ أنَّني لَمْ أفْتَحْ عَلَيْكَ بَابًا وَاسِعًا مِنَ العِلْمِ، بِحَسْبِكَ مِنْه البُلْغَةُ، ولَمْ أُضَيِّقْ عَلَيْكَ وَاسِعًا بِحَسْبِكَ مِنه الغَايَةُ، وذَلِكَ عِنْدَ اقْتِصَارِنا : عَلَى بَعْضِ عُلُوْمِ الآلَةِ الَّتِي فيها الكِفَايَةُ والمَقْنَعُ، أمَّا عُلُوْمُ الغَايَةِ فَلا حَدَّ فيها ولا نِهَايَةَ!

***

ومَا أحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ العَلامَةُ ابنُ خُلْدُونٍ رَحِمَهُ اللهُ فيما نَحْنُ بِصَدَدِهِ؛ إذْ يَقُوْلُ في «المُقَدِّمةِ» (١/ ٦٢٢) : «فأمَّا العُلُوْمُ الَّتِي هِيَ مَقَاصِدُ فَلا حَرَجَ في تَوَسُّعِهِ الكلامَ فيها، وتَفْرِيْعِ المَسَائِلِ، واسْتِكْشَافِ الأدِلَّةِ والأنْظَارِ، فَإنَّ

---

(١) عُلُوْمُ الغَايَةِ مِثْلُ : العَقِيْدَةِ، والحَدِيْثِ، والفِقْهِ، والتَّفْسِيْرِ...، وعُلُوْمُ الآلَةِ مِثْلُ : النَّحْوِ، واللُّغَةِ، وأُصُوْلِ الفِقْهِ، ومُصْطَلَحِ الحَدِيْثِ، والمَنْطِقِ ... إلَخ .

ذَلِكَ يَزِيْدُ طَالِبَها تَمَكُّنًا في مَلَكَتِه وإيْضَاحًا لِمَعانِيْها المَقْصُوْدَةِ، وأمَّا العُلُوْمُ الَّتِي هِيَ آلَةٌ لِغَيْرِها : مِثْلُ العَرَبِيَّةِ والمَنْطِقِ وأمْثَالِها؛ فَلا يَنْبَغِي أنْ يُنْظَرَ فيها إلاَّ مِنْ حَيْثُ هِي آلَةٌ لِذَلِكَ الغَيْرِ فَقَطُ، ولا يُوَسَّعُ فيها الكَلامُ، ولا تُفَرَّعُ المَسَائِلُ؛ لأنَّ ذَلِكَ يُخْرِجُ بها عَنِ المَقْصُوْدِ، إذِ المَقْصُوْدُ مِنْها مَا هِي آلَةٌ لَهُ لا غَيْرُ، فكُلَّما خَرَجَتْ عَنْ ذَلِكَ؛ خَرَجَتْ عَنِ المَقْصُوْدِ، وصَارَ الاشْتِغَالُ بِها لَغْوًا، مَعَ مَا فيه مِنْ صُعُوْبَةِ الحُصُوْلِ عَلَى مَلَكَتِها بِطُوْلِها وكَثْرَةِ فُرُوْعِها، ورُبَّما يَكُوْنُ ذَلِكَ عَائِقًا عَنْ تَحْصِيْلِ العُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذَّاتِ لِطُوْلِ وَسَائِلِها؛ مَعَ أنَّ شَأنَها أهَمُّ، والعُمُرُ يَقْصُرُ عَنْ تَحْصِيْلِ الجَمِيْعِ عَلَى هَذِه الصُّوْرَةِ، فَيَكُوْنُ الاشْتِغَالُ بِهَذِه العُلُوْمِ الآلِيَّةِ تَضْيِيْعًا للعُمُرِ وشُغُلاً بِمَا لا يُغْنِي!

وهَذَا كَما فَعَلَهُ المُتَأخِّرُوْنَ في صِنَاعَةِ النَّحْوِ، وصِنَاعَةِ المَنْطِقِ، لا بَلْ وأصُوْلِ الفِقْهِ؛ لأنَّهُم أوْسَعُوا دَائِرَةَ الكَلامِ فيها نَقْلاً واسْتِدْلالاً، وأكْثَرُوا مِنَ التَّفَارِيْعِ والمَسَائِلِ بِمَا أخْرَجَها عَنْ كُوْنِها آلَةً، وصَيَّرَها مَقْصُوْدَةً بذَاتِها، ورُبَّما يَقَعُ فيها لِذَلِكَ أنْظَارٌ ومَسَائِلُ لا حَاجَةَ بِها في العُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذَّاتِ، فتَكُوْنَ لأجْلِ ذَلِكَ مِنْ نَوْعِ اللَّغْوِ، وهِيَ أيْضًا مُضِرَّةٌ بالمُتَعَلِّمِيْنَ عَلَى الإطْلاقِ، لأنَّ المُتَعَلِّمِيْنَ اهْتِمَامَهُم بالعُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ أكْثَرُ مِنِ اهْتِمامِهِم

بِهَـذِه الآلاتِ والوَسَـائِلِ؛ فـإذَا قَطَعُـوا العُمُـرَ في تَحْـصِيْلِ الوَسَـائِلِ فَمَتَـى يَظْفَرُوْنَ بالمَقَاصِدِ؟، فلِهَـذَا يَجِبُ عَـلَى المُعَلِّمِـيْنَ لِهَـذِه العُلُـوْمِ الآلِيَّـةِ أنْ لا يَسْتَبْحِرُوا في شَأنِهَا، ولا يَسْتَكْثِرُوا مِنْ مَسَائِلِها، ويُنَبِّهُ المُتَعَلِّمَ عَـلَى الغَـرَضِ مِنْها، ويَقِفُ بِهِ عِنْدَهُ، فَمَنْ نَزَعَتْ بِهِ هِمَّتُـه بَعْـدَ ذَلِـكَ إلى شَيْءٍ مِـنْ التَّوَغُّـلِ ورَأى مِنْ نَفْسِه قِيَامًا بِذَلِكَ وكِفَايَةً بِه؛ فلْيَخْتَرْ لنَفْسِهِ مَـا شَـاءَ مِـنَ المَرَاقِـي، صَعْبًا أو سَهْلاً، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» انْتَهَى .

* * *

وبَعْدَ هَذَا؛ فيُرْجَى مِنْ طُلابِ العِلْمِ الأفَاضِلِ العِنَايَةُ بِهَذا البَرْنَـامِجِ عِنَايَةً كَبِيْرَةً؛ لأنَّ العُمُرَ قَصِيْرٌ، والعِلْمَ كَثِيْرٌ، والزَّمنَ يَسِيْرٌ؛ وأنْ يَتَقيَّـدُوا بـه لِحُصُولِ الفَائِدَةِ المَرْجُوَّةِ؛ كَـمَا أنَّنـا وَضَـعْنَا بَرْنَامِجَنَـا (المَـنْهَجَ العِلْمِـيَّ) عَـلَى مَرَاحِلَ أرْبَعٍ مُوَافِقَةً للقُدُراتِ العِلْمِيَّـةِ إنْ شَـاءَ اللهُ، مَـعَ بَعْـضِ الأضَـامِيْمِ العِلْمِيَّةِ، وقَدْ قِيْلَ : ازْدِحَامُ العُلُوْمِ مَضَلَّةُ الفُهُوْمِ؛ لِذَا لَزِمَ الاعْتِكَـافُ عَلَيْـه مَا أمْكَنَ إلى ذَلِكَ سَبِيْلاً .

* * *

يَقُـوْلُ ابْـنُ عَبْـدِ الـبَرِّ رَحِمَـهُ اللهُ في «جَـامِعِ بَيَـانِ العِلْـمِ وفَـضْلِه» (٢/ ١٦٦) : «طَلَبُ العِلْمِ دَرَجَاتٌ ومَنَاقِلُ ورُتَبٌ، لا يَنْبَغِي تَعَـدِّيْها، ومَـنْ

تَعَدَّاها جُمْلَةً؛ فَقَدْ تَعَدَّى سَبِيْلَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ، ومَنْ تَعَدَّى سَبِيْلَهُم عَامِدًا ضَلَّ، ومَنْ تَعَدَّاهُ مُجْتَهِدًا زَلَّ»!

وبمِثْلِه يَقُوْلُ الإمَامُ الزَّبِيْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «شَرْحِ الإحْيَاءِ» (١/ ٣٣٤): «يَجِبُ أنْ لا يَخُوْضَ (طَالِبُ العِلْمِ) في فَنٍّ حَتَّى يَتَنَاوَلَ مِنَ الفَنِّ الَّذِي قَبْلَه عَلَى التَّرْتِيْبِ بُلْغَتَه، ويَقْضِي مِنْهُ حَاجَتَه، فازْدِحَامُ العِلْمِ في السَّمْعِ مَضَلَّةُ الفَهْمِ. قَالَ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة١٢١]، أيْ: لا يَتَجَاوَزَوْن فَنًّا حَتَّى يُحْكِمُوْهُ عِلْمًا وعَمَلاً، فَيَجِبُ أنْ يُقَدِّمَ الأهَمَّ فالأهَمَّ مِنْ غَيْرِ إخْلالٍ في التَّرْتِيْبِ.

وكَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ مُنِعُوْا الوُصُوْلَ لَتَرْكِهِم الأُصُوْلَ؛ وحَقُّهُ أنْ يَكُوْنَ قَصْدُه مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَتحَرَّاهُ التَّبَلُّغَ بِهِ إلِى مَا فَوْقَه حَتَّى يَبْلُغَ النِّهَايَةَ» انْتَهَى.

وقَالَ أيْضًا ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ٢٦٢): «وفيهِ أيْضًا تَنْبِيْهٌ لأهْلِ العِلْمِ عَلى تَرْبِيَةِ الأمَّةِ كَما يُرَبِّي الوَالِدُ وَلَدَه؛ فَيُرَبُّوْنَهم بالتَّدْرِيْجِ والتَّرَقِي مِنْ صِغَارِ العِلْمِ إلى كِبَارِهِ، وتَحْمِيْلِهم مِنْه مَا يُطِيْقُوْنَ، كَما يَفْعَلُ الأبُ بوَلَدِهِ الطِّفْلِ في إيْصَالِه الغِذَاءَ إلَيْه؛ فَإنَّ أرْوَاحَ البَشَرِ إلى الأنْبِيَاءِ والرُّسُلِ كالأطْفَالِ بالنِّسْبَةِ إلى آبائِهِم، بَلْ دُوْنَ هَذه النِّسْبَةِ بكَثِيْرٍ» انْتَهَى.

وقَالَ الزَّرْنُوْجِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «تَعْلِيْمِ المُتَعَلِّمِ» (٧٩) : «ويَنْبَغِي أنْ يَبْتَدِئ بِشَيءٍ يَكُوْنُ أقْرَبَ إلى فَهْمِهِ، وكَانَ الشَّيْخُ الأُسْتَاذُ شَرَفُ الدِّيْنِ العُقَيْلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُوْلُ : الصَّوَابُ عِنْدِي في هَذا مَا فَعَلَه مَشَايُخُنا رَحِمَهُمُ اللهُ، فإنَّهم كَانُوا يَخْتَارُوْنَ للمُبْتَدِئ صِغَارَاتِ المَبْسُوْطِ؛ لأنَّه أقْرَبُ إلى الفَهْمِ والضَّبْطِ، وأبْعَدُ مِنَ المَلالَةِ، وأكْثَرُ وُقُوْعًا بَيْنَ النَّاسِ» انْتَهَى .

وقَدْ قِيْلَ : حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ وِقْرَيْنِ، وفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وِقْرَيْنِ!

والوِقْرُ : الحِمْلُ الثَّقِيْلُ .

❑❑❑

المَدْخَلُ الثَّالِثُ

طَلائِعُ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ)

هُنَاكَ بَعْضُ الطَّلائِعِ العِلْمِيَّةِ، نَسُوْقُها بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ مَنْ رَامَ السَّعْيَ حَثِيْثًا وَرَاءَ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ)، وحَسْبُكَ أنَّها مُقَدِّمَاتٌ وتَنَابِيْهُ سَابِقَةٌ، وبَصَائِرُ سَائِقَةٌ للطَّالِبِ قَبْلَ الشُّرُوْعِ في مُتَابَعَةِ ما هُنَا مِنْ تَرَاتِيْبَ تَنْظِيْمِيَّةٍ، ومَسَالِكَ تَوْضِيْحِيَّةٍ.

لِذَا؛ يُسْتَحْسَنُ بطَالِبِ العِلْمِ أنْ يَعِيْرَها اهْتِمَامًا، وأنْ يَجْعَلَها لِـ(المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) إمَامًا، كُلُّ ذَلِكَ كَيْ يَسْهُلَ عَلَيْه السَّيْرُ، ويَقْرُبَ مِنْه الخَيْرُ، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ!

ثُمَّ لا تَنْسَ قَوْلَ القَائِلِ:

أَلاَ لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إلاَّ بسِتَّةٍ ... سَأُنَبِّئُكَ عَنْ مَجْمُوْعِها ببَيَانِ

ذَكَاءٌ وحِرْصٌ واجْتِهَادٌ وبُلْغَةٌ ... وإرْشَادُ أُسْتَاذٍ وطُوْلُ زَمَانِ[1]

* * *

(١) انْظُرْ ص (٢٧).

* الطَّلِيْعَةُ الأوْلَى: عَلَى طَالِبِ العِلْمِ؛ أنْ يَجْعَلَ لِكُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ هَـذِه المَرَاحِلِ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ؛ رَجَاءَ أنْ يُتِمَّ (المَنْهَجَ العِلْمِيَّ) كَامِلاً في سَنَتَيْنِ إنْ شَـاءَ اللهُ!

ولَهُ أنْ يُتِمَّهُ في أقَلِّ مِنْ ذَلِكَ لِمَـنْ أُتِيَ هِمَّـةً عَالِيَـةً، وعَزِيْمَـةً صَـادِقَةً، ومِنْ قَبْلُ قَطْعُ العَوَائِقِ، ومَنْعُ الصَّوَارِفِ!

وقَدْ قِيْلَ:

عَلَى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ ... وتَـأْتِي عَـلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَـارِمُ

وتَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغِيْرِ صِغَارُها ... وتَصْغُرُ في عَيْنِ العَظِيْمِ العَظَائِمُ[1]

ومَنْ ضَاقَ بِه الزَّمَنُ، فَلَـه أنْ يَمُـدَّ حَـبْلاً مِـنَ الوَقْـتِ مَـا يُحِيْطُ بِـه (المَنْهَجَ العِلْمِيَّ).

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن١٦]، «ومَا أمَرْتُكُم بِشَيْءٍ؛ فَأْتُوا مِنْه ما اسْتَطَعْتُم»[2] مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

* * *

(١) انْظُرْ «دِيْوَانَ المُتَنبِّي» (٣٨٥).

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١٣/ ٣٥١)، ومُسْلِمٌ (١٣٣٧).

* الطَّلِيْعَةُ الثَّانِيَةُ : كَمَا عَلَيْه؛ مُرَاعَاةُ تَرْتِيْبِ مُطالَعَةِ ودَرْسِ هَذِه الفُنُوْنِ بِحَسَبِ الرُّقُوْمَاتِ التَّسَلْسُلِيَّةِ ... اللَّهُمَّ إذَا كَانَتْ ثَمَّتُ مَصْلَحَةٌ يَرَاهَا طَالِبُ العِلْمِ، مِمَّا تَعُوْدُ عَلَيْه بِفَائِدَةٍ مَرْجُوَّةٍ، أو تَنْشِيْطِ هِمَّةٍ؛ فَلَهُ أنْ يُقَدِّمَ مَا يَشَاءُ، ويُؤَخِّرَ مَا يَشَاءُ .

* * *

* الطَّلِيْعَةُ الثَّالِثَةُ : كَمَا عَلَيْه؛ أنْ يَعْلَمَ أنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا حَوْلَ الكُتُبِ الَّتِي في (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) مِنْ أسْمَاءِ المُحَقِّقِيْنَ، وأسْمَاءِ دُوْرِ النَّشْرِ والمَطَابِعِ؛ لَيْسَ هُوَ مِنْ بَابِ الإلْزَامِ والالْتِزَامِ؛ بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الاخْتِيَارِ والانْتِقَاءِ، بَعْدَ عِلْمِنا أنَّها مِنْ أحْسَنِ وأجْوَدِ مَا هُوَ مَوْجُوْدٌ ومُتَدَاوَلٌ بَيْنَ طُلابِ العِلْمِ الآنَ، وهَذَا مَا تَقْتَضِيْهِ النَّصِيْحَةُ الإيْمَانِيَّةُ، والمَحَبَّةُ الأُخَوِيَّةُ .

ومَا لَمْ نَذْكُرْ لَهُ تَحْقِيْقًا أو دَارًا؛ فَحَسْبُنا أنَّه لَمْ تَنَلْهُ يَدُ تَحْقِيْقٍ مِمَّا هِيَ عَلَى شَرْطِ النَّصِيْحَةِ .

لِذَا؛ فَأنْتَ يَا طَالِبَ العِلْمِ في حِلٍّ فِيما تَخْتَارُه وتَرْضَاه مِنْ مُحَقِّقِيْنَ وطَبَعَاتٍ، واللهُ المُوفِّقُ والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ .

* * *

* الطَّلِيْعَةُ الرَّابِعَةُ : كَمَا عَلَيْـه؛ أَنْ يَـسْتَعِيْنَ بـالله تَعَـالَى في شَرْحِ كُتُـبِ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) مِنْ خِلالِ إحْدَى الطُّرُقِ الأرْبَعِ عَلَى وَجْهِ التَّرْتِيْبِ :

الأوْلَى : أنْ يَأخُذَ شَرْحَهَا عَلَى أيْدِي أهْلِ العِلْمِ السَّلَفِيِّيْنَ .

الثَّانِيَةُ : فـإنْ لَمْ يَكُـنْ؛ فَلْيَأخُـذْ شَرْحَهـا عَـلَى أيْـدِي طُـلابِ العِلْـمِ النَّابِغِيْنَ.

الثَّالِثَةُ : فإنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَلْيَأخُـذْ شَرْحَهَـا مِـنْ خِـلالِ تَفْرِيْـغِ الأشْرِطَـةِ الـشَّارِحَةِ لَهَـا إنْ وُجِـدَ، وأخُـصُّ مِنْهـا شُرُوْحَـاتِ شَـيْخِنا العَلامَـةِ مُحَمَّـدٍ العُثَيْمِيْنِ رَحِمَهُ اللهُ .

الرَّابِعَةُ : فإنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَلْيَأخُـذْ شَرْحَهـا عَـنْ طَرِيْـقِ القِـرَاءةِ المُتَأنِيَّـةِ، وسُؤالِ أهْلِ العِلْمِ عَمَّا يُشْكِلُ عَلَيْه .

لاسِيَّما أنَّ بَعْضَ البِلادِ قَدْ عَزَّ فيها الشَّيْخُ الرَّبَّانِيُّ، واللهُ المُسْتَعَانُ!

وهَذِه تَسْلِيَةٌ لطَالِبِ العِلْمِ ممَّنْ قَلَّ في أرْضِـهِ أو بَلْدَتِـهِ : أهْـلُ العِلْـمِ الكِبَارِ، أو تَغَيَّبَـتْ مَجَالِسُ العِلْـمِ بَيْـنَهُم، أنْ يَتَـذَكَّرَ والحَالَـةُ هَـذِه أنَّ عِلْـمَ السَّلَفِ كَانَ : بقَلْبٍ عَقُوْلٍ، ولِسَانٍ سَؤُوْلٍ!

* * *

وأخِيْرًا؛ فَهَاكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ (المَنْهَجَ العِلْمِيَّ) مَعَ مَا كَتَبْنَاهُ لَكَ مِـنْ مُقَدِّمَةٍ عِلْمِيَّةٍ، تُبَصِّرُكَ عَلَى سَوَاءٍ في خِطَّةٍ تَوْضِيْحِيَّةٍ؛ عَسَاهَا تَجِدُ لَدَيْكَ قَلْبًـا وَاعِيًا، وأُذُنًا سَاغِيَةً، ومِنْ قَبْلُ هِمَّةً عَاليَةً، وما التَّوْفيقُ إلاَّ باللهِ تَعَالَى .

❏❏❏



البَابُ الأوَّلُ

المَرَاحِلُ العِلْمِيَّةُ
وفيه أرْبَعُ مَرَاحِلَ عِلْمِيَّةٍ

المَرْحَلَةُ الأُوْلَى

١ـ حِفْظُ جُزْأيْنِ «عَمَّ وتَبَارَكَ» مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ[1] .

٢ـ حِفْظُ «الأرْبَعِيْنَ النَّوَوِيَّةِ»، مَعَ زِيَادَاتِ ابنْ رَجَبٍ الحَنْبَلِي .

٣ـ قِرَاءةُ «حَاشِيَةِ ثَلاثَةِ الأُصُوْلِ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القَاسِمِ .

٤ـ قِرَاءةُ «شَرْحِ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ» لشَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ .

٥ـ قِرَاءةُ «قُرَّةُ عُيُوْنِ المُوَحِّدِيْنَ» شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَسَنَ آلِ الشَّيْخِ، طَبْعَةُ دَارِ المُغْنِي، تَحْقِيْقُ المَجْلِسِ العِلْمِيِّ بالدَّارِ.

٦ـ قِرَاءةُ «العُبُوْدِيَّةِ» لابْنِ تَيْمِيَةَ، تَحْقِيْقُ عَلِيِّ بنِ حَسَنَ الحَلَبِيِّ.

٧ـ قِرَاءةُ «المُقَدِّمَةِ الآجُرُّوْمِيَّةِ» مِنْ خِلالِ شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ عَبْرَ الأشْرِطَةِ[2]، مَعَ مَلْحُوظَةِ تَفْرِيْغِ مَا يَحْتَاجُه طَالِبُ العِلْمِ[3] .

---

(١) قِرَاءةُ وحِفْظُ القُرْآنِ الكَرِيْمِ لا يَكُوْنُ إلاَّ عَنْ طَرِيْقِ التَّلْقِيْنِ مُبَاشَرَةً!

(٢) لَقَدْ خَرَجَ «شَرْحُ المُقَدِّمَةِ الآجُرُّوْمِيَّةِ» لشَيْخِنا العُثَيْمِيْنِ رَحِمَهُ اللهُ في طَبْعَةٍ جَيِّدَةٍ، بإشْرَافِ مُؤسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ صَالِحِ العُثَيْمِيْنِ الخَيْرِيَّةِ .

(٣) ومَنْ بَعُدَتْ عَلَيْه أشْرِطَةُ شَيْخِنا العُثَيْمِيْنِ رَحِمَهُ اللهُ؛ فَلَهُ والحَالَةُ هَذِه أنْ يَقْتَصِرَ عَلى شَرْحِ «التُّحْفَةِ السَّنِيَّةِ بشَرْحِ المُقَدِّمَةِ الآجُرُّوْمِيَّةِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدٍ مُحْي الدِّيْنِ عَبْدِ الحَمِيْدِ رَحِمَهُ اللهُ على أيْدِي أهْلِ العِلْمِ .

٨ـ قِرَاءةُ «الأُصُوْلِ مِنْ عِلْمِ الأُصُوْلِ» مِنْ خِلالِ شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ عَبْرَ الأشْرِطَةِ، مَعَ مَلْحُوظَةِ : حِفْظِ التَّعْرِيْفَاتِ حِفْظًا تَامًا، وتَفْرِيْغِ مَا يَحْتَاجُه طَالِبُ العِلْمِ .

٩ـ قِرَاءةُ «مُصْطَلَحِ الحَدِيْثِ» لشَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ مَعَ مَلْحُوظَةِ: حِفْظِ التَّعْرِيْفَاتِ حِفْظًا تَامًا .

١٠ـ قِرَاءةُ «أُصُوْلِ التَّفْسِيْرِ» لشَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ مَعَ مَلْحُوظَةِ: حِفْظِ التَّعْرِيْفَاتِ حِفْظًا تَامًا .

١١ـ قِرَاءةُ المُجَلَّدَيْنِ الأوَّلِ والثَّانِي مِنْ كِتَابِ «الشَّرْحِ المُخْتَصَرِ عَلَى مَتْنِ زَادِ المُسْتَقْنِعِ» للشَّيْخِ صَالِحِ الفَوْزَانِ، وهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ رُبْعِ العِبَادَاتِ، طَبْعَةُ دَارِ العَاصِمَةِ .

١٢ـ قِرَاءةُ «تَيْسِيْرِ الكَرِيْمِ الرَّحْمَنِ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ .

١٣ـ قِرَاءةُ «حِلْيَةِ طَالِبِ العِلْمِ» لبَكْرٍ أبُو زَيْدٍ .

❑ ❑ ❑

المَرْحَلَةُ الثَّانيَةُ

١ـ حِفْظُ خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ .

٢ـ قِرَاءةُ «**الصَّحِيْحَيْنِ**» للبُخَارِيِّ ومُسْلِمٍ، مِنْ خِلالِ كِتَابِ «**التَّوْشِيْحِ شَرْحِ الجَامِعِ الصَّحِيْحِ**» للسِّيُوْطِيِّ، تَحْقِيْقُ رِضْوَانَ بنِ جَامِعٍ، و«**الدِّيْبَاجِ عَلَى صَحِيْحِ مُسْلِمِ بنِ الحَجَّاجِ**» للسِّيُوْطِيِّ، تَحْقِيْقُ أَبِي إِسْحَاقِ الحُوَيْنِيِّ .

٣ـ حِفْظُ «**عُمْدَةِ الأحْكَامِ**» للحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدَسِيِّ الحَنْبَلِيِّ، تَحْقِيْقُ مَحْمُوْدِ الأرْنَاؤُوْطِ، أو تِكْرَارُ قِرَاءتِه مِرَارًا .

٤ـ قِرَاءةُ «**فَتْحِ المَجِيْدِ**»، للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَسَنَ آلِ الشَّيْخِ، تَحْقِيْقُ الوَلِيْدِ آلِ فُرَيَّانَ .

٥ـ قِرَاءةُ «**شَرْحِ العَقِيْدَةِ الوَاسِطِيَّةِ**» للشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ خَلِيْلٍ الهَرَّاسِ، تَحْقِيْقُ عَلَوِي السَقَّاف .

٦ـ قِرَاءةُ «**القَوَاعِدِ المُثْلَى**» تَحْقِيْقُ أَشْرَفِ بنِ عَبْدِ المَقْصُوْدِ، مِنْ خِلالِ شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ عَبْرَ الأشْرِطَةِ، مَعَ مَلْحُوظَةِ : حِفْظِ القَوَاعِدِ حِفْظًا تَامًّا، وتَفْرِيْغِ مَا يَحْتَاجُه طَالِبُ العِلْمِ .

٧ـ قِرَاءةُ «**الفُرْقَانِ بَيْنَ أَوْلِياءِ الرَّحْمَنِ وأَوْلِياءِ الشَّيْطَانِ**» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ اليَحْيَ .

٨ـ قِرَاءةُ «مُتمِّمَة الآجُرُّوْمِيَّة» للحَطَّابِ، مَعَ شَرْحِها «الـدُّرَرُ البهيَّـةُ شَرْحُ مُتمِّمَة الآجُرُّوْمِيَّة»[1] لرَاقِمِه.

٩ـ قِرَاءةُ «دُرُوْسِ البَلاغَة» لحَفْنِي نَاصِفَ وآخَرِيْنَ، مِـنْ خِـلالِ شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ عَبْرَ الأشْرِطَةِ، مَعَ مَلْحُوظَةِ تَفْرِيْغِ مَـا يَحْتَاجُـه طَالِـبُ العِلْمِ[2].

١٠ـ قِرَاءةُ «القَوَاعِدِ والأُصُوْلِ الجَامعَةِ» للشَّيخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ خَالِدِ بنِ عَليٍّ المُشَيْقِحِ.

١١ـ قِـرَاءةُ «قَوَاعِدِ الأُصُوْلِ ومَعَاقِدِ الفُـصُوْلِ» لـصَفي الـدِّيْنِ عَبْـدِ المُؤْمِنِ الحَنْبَلِيِّ، مَعَ شَرْحِـهِ «تَيْسِيْرِ الوُصُوْلِ إلى قَوَاعِدِ الأُصُوْلِ» للـشَّيْخِ عَبْـدِ الله الفَوْزَانِ.

١٢ـ قِرَاءةُ «تَيْسِيْرِ مُصْطَلَحِ الحَدِيْث» للشَّيْخِ مَحْمُوْدٍ الطَّحَّانِ.

١٣ـ قِرَاءةُ «حَاشِيَة مُقَدِّمَةِ التَّفْسِيْرِ» للـشَّيْخِ عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ بـنِ مُحَمَّـدٍ القَاسِمِ.

---

(١) انْظُرْهُ قَرِيبًا إنْ شَاءَ اللهُ في مَوْقِعِ : (www.thiab.com).

(٢) لَقَدْ طُبِعَ كِتَابُ « شَرْحِ دُرُوْسِ البَلاغَةِ» لشَيْخِنا العُثَيْمِيْنِ رَحِمَهُ اللهُ، بعِنَايَـةِ وتَحْقِيْـقِ الأخِ مُحَمَّدٍ المُطَيْرِيِّ.

١٤ـ قِرَاءةُ المُجَلَّدَيْنِ الثَّالِثِ والرَّابِعِ مِنْ كِتَابِ «الشَّرْحِ المُخْتَصَرِ عَلَى مَتْنِ زَادِ المُسْتَقْنِعِ» للشَّيْخِ صَالِحِ الفَوْزَانِ، وهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ رُبْعِ المُعَامَلاتِ، ورُبْعِ الجِنَايَاتِ، ورُبْعِ الشَّهَادَاتِ، طَبْعَةُ دَارِ العَاصِمَةِ .

١٥ـ قِرَاءةُ «مَعَالِمِ التَّنْزِيْلِ» للإمَامِ البَغَوِيِّ، تَحْقِيْقُ عُثْمَانَ ضُمِيْرِيَّةِ، وآخَرِيْنَ، مَعَ مَلْحُوْظَةِ : عَدَمِ الوُقُوْفِ مَعَ الإسْرَائِيْلِيَّاتِ، واخْتِلافِ القِرَاءاتِ، والمَسَائِلِ النَّحْوِيَّةِ .

١٦ـ قِرَاءةُ «الكَلِمِ الطَّيِّبِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ نَاصِرِ الدِّيْنِ الألْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، مَعَ مَلْحُوظَةِ : حِفْظِ مَا يُمْكِنُ حِفْظُه مِنَ الأحَادِيْثِ لاسِيَّمَا أذْكَارُ اليَوْمِ واللَّيْلَةِ .

١٧ـ قِرَاءةُ «الفُصُوْلِ فِي سِيْرَةِ الرَّسُوْلِ» لابنِ كَثِيْرٍ، تَحْقِيْقُ مُحَمَّدٍ الخَطْرَاوِيِّ، ومُحْي الدِّيْنِ مُسْتُو .

١٨ ـ قِرَاءةُ «بَيَانِ فَضْلِ عِلْمِ السَّلَفِ عَلَى عِلْمِ الخَلَفِ» لابنِ رَجَبٍ، تَحْقِيْقُ أخِيْنا الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ العَجْمِيِّ .

١٩ـ قِرَاءةُ «تَصْنِيْفِ النَّاسِ بَيْنَ الظَّنِّ واليَقِيْنِ» لبَكْرٍ أبُو زَيْدٍ .

❑ ❑ ❑

المَرْحَلَةُ الثَّالثَةُ

١ـ حِفْظُ عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ .

٢ـ حِفْظُ رُبْعِ العِبَادَاتِ مِنْ «بُلُوْغِ المَرَامِ» للحَافِظِ ابنِ حَجَرٍ العَسْقَلانِيِّ، تَحْقِيْقُ سَمِيْرِ بنِ أَمِيْنٍ الزُّهَيْرِيِّ، أو تِكْرَارُ قِرَاءتِه مِرَارًا، وهُوَ المُجَلَّدُ الأَوَّلُ .

٣ـ قِرَاءةُ «السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ»، تَحْقِيْقُ العَلامَةِ المُحَدِّثِ نَاصِرِ الدِّيْنِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، طَبْعَةُ مَكْتَبَةِ المَعَارِفِ، بِعِنَايَةِ الشَّيْخِ مَشْهُوْرِ بنِ حَسَنِ آلِ سَلْمَانَ[1] .

٤ـ قِرَاءةُ «الفَتْوَى الحَمَوِيَّةِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ حَمَدَ التُّوَيْجِرِيِّ .

٥ـ قِرَاءةُ «شَرْحِ العَقِيْدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ» لابنِ أَبِي العِزِّ، تَحْقِيْقُ التُّرْكِيِّ ،

---

(١) وهَذِه الطَّبْعَةُ خَرَجَتْ بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ حَيْثُ كَانَتْ أُمْنِيَةً لَه قَبْلَ وَفَاتِه، فَشَاءَ اللهُ تَعَالى أَنْ تَخْرُجَ هَذِه الطَّبْعَةُ بعِنَايَةِ الشَّيْخِ مَشْهُوْرِ بنِ حَسَنٍ؛ حَيْثُ خَرَجَ كُلُّ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ في مُجَلَّدٍ وَاحِدٍ حَاوٍ جَمِيْعَ الأَحَادِيْثِ بأَسَانِيْدِها، مَعَ الحُكْمِ عَلَيْها صِحَّةً وضَعْفًا، وكَذا ذِكْرِ بَعْضِ الإحَالاتِ الخَاصَّةِ للأَلبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ في كُتُبِهِ الأُخْرَى، وهِي بِهَذا الإخْرَاجِ تُعْتَبَرُ قَاضِيةً ونَاسِخَةً على مَا سِوَاهَا مِنْ طَبَعَاتِ السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ للأَلْبَانِيِّ، لاسِيَّما الَّتي فَرَّقَتْ بَيْنَ صَحِيْحِ السُّنَنِ وضَعِيْفِها دُوْنَ سَنَدٍ أو إحَالَةٍ، أَقْصِدُ : طَبْعَةَ مَكْتَبِ التَّرْبِيَةِ العَرَبِيِّ لِدُوَلِ

والأرْناؤوطِ .

٦ـ قِرَاءةُ «سَبِيْلِ الهُدَى بتحْقِيْقِ شَرْحِ قَطْرِ النَّدَى وبَلِّ الصَّدَى» لُمحَمَّـدٍ مُحْي الدِّيْنِ عَبْدِ الحَمِيْدِ .

٧ـ قِرَاءةُ «البَلاغَةِ الوَاضِحَةِ» لعَلِيٍّ الجَارِمِ، ومُصْطَفَى أمِيْنَ .

٨ـ قِرَاءةُ «تَدْرِيْبِ الرَّاوِيِّ» للسِّيُوْطِيِّ، تَحْقِيْقُ طَارِقِ بنِ عَوَضٍ .

٩ـ قِـرَاءةُ «التَّأسِيْسِ في أُصُوْلِ الفِقْهِ» للـشَّيْخِ مُـصْطَفَى سَـلامَةَ، مَـعَ مَلْحُوْظَةِ : عَدَمِ قِرَاءةِ المُقَدِّمَةِ المَنْطِقِيَّةِ .

١٠ـ قِرَاءةُ «مَعَالِمِ أصُوْلِ الفِقْهِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ حَسَنَ الجَيْزَانِيِّ .

١١ـ قِرَاءةُ «الوَجِيْزِ في إيْضَاحِ قَوَاعِدِ الفِقْـهِ الكُلِّيَّـةِ» للـشَّيْخِ مُحَمَّـدٍ صِدْقِي البَوْرُنُو .

١٢ـ قِرَاءةُ «فُصُوْلٍ في أُصُوْلِ التَّفْسِيْرِ» للشَّيْخِ مُسَاعِدَ الطَّيَّارِ .

١٣ـ قِرَاءةُ «تَفْسِيْرِ القُـرْآنِ العَظِـيْمِ» لابـنِ كَثِـيْرٍ، تَحْقِيْـقُ سَـامِي السَّلامَة .

الخَلِيْجِ، هَذا إذَا عَلِمْنا أنَّ الألْبَانِيَّ رَحِمَهُ اللهُ لم يَرْضَ هَذِه الطَّبْعَةَ حَالَ حَيَاتِه، فكَانَ اللهُ لَه آمِيْنَ!

١٣ـ قِرَاءةُ «تَفْسِيْرِ القُرْآنِ العَظِيْمِ» لابنِ كَثِيْرٍ، تَحْقِيْقُ سَامِي السَّلامَةِ .

١٤ـ قِرَاءةُ «حَاشِيَةِ الرَّوْضِ المُرْبِعِ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ قَاسِمٍ، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ : تَضْمِيْنِ قِرَاءةِ «الشَّرْحِ المُمْتِعِ» لشَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ، نَشْرُ دَارِ ابنِ الجَوْزِيِّ، ، بَابًا بِبَابٍ، جَنْبًا بِجَنْبٍ .

١٥ـ قِرَاءةُ «الوَابِلِ الصَّيِّبِ ورَافِعِ الكَلِمِ الطَّيِّبِ» لابنِ القَيِّمِ، تَحْقِيْقُ الأخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ قَائِدٍ، دَارُ عَالَمِ الفَوَائِدِ، مَعَ مَلْحُوظَةٍ : حِفْظِ مَا يُمْكِنُ حِفْظُه مِنَ الأحَادِيْثِ لاسِيَّمَا أذْكَارُ اليَوْمِ واللَّيْلَةِ .

١٦ـ قِرَاءةُ «جَامعِ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» للحَافِظِ ابنِ عَبْدِ البَرِّ النَّمَرِيِّ الأنْدَلُسِيِّ، تَحْقِيْقُ أبِي الأشْبَالِ الزُّهَيْرِيِّ .

١٧ـ قِرَاءةُ «مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنَ» للإمَامِ أحْمَدَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَقْدِسِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ الأرْنَاؤُوْطِ .

❑❑❑

المَرْحَلَةُ الرَّابِعَةُ

١ـ حِفْظُ مَا بَقِيَ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ إذا أمْكَنَ .

٢ـ حِفْظُ أرْبَاعِ المُعَامَلاتِ، والجِنَايَاتِ، والشَّهَادَاتِ مِنْ «بُلُوْغِ المَرَامِ» للحَافِظِ ابنِ حَجَرٍ العَسْقَلانِيِّ، تَحْقِيْقُ سَمِيْرِ بنِ أمِيْنٍ الزُّهَيْرِيِّ، أو تِكْرَارُ قِرَاءتِه مِرَارًا، وهُوَ المُجَلَّدُ الثَّانِي .

٣ـ قِرَاءةُ «الشَّرِيْعَةِ» للإمَامِ الآجُرِّي، تَحْقِيْقُ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ الدُّمَيْجِيِّ .

٤ـ قِرَاءةُ «التَّدْمُرِيَّةِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، مَعَ شَرْحِها «التَّوْضِيْحَاتِ الأثَرِيَّةِ» لفَخْرِ الدِّيْنِ بنِ الزُّبَيْرِ .

٥ـ قِرَاءةُ «شَرْحِ الأصْفَهانِيَّةِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ مُحَمَّدِ بنِ عَوْدَةَ السَّعَوِيِّ .

٦ـ قِرَاءةُ الاثْنَيْ عَشَرَ مُجَلَّدًا الأُوْلَى مِنْ «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» لابنِ تَيْمِيَّةَ.

مَعَ مَلْحُوْظَةِ : تَجَاوُزِ مَا قَرَأهُ طَالِبُ العِلْمِ سَالِفًا مِمَّا هُو ضِمْنُ الفَتَاوَى .

٧ـ قَراءةُ «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ مُحَمَّدِ بنِ رَشَادِ ابنِ سَالِمٍ، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ: عَدَمِ الوُقُوْفِ كَثِيْرًا عِنْدَ المَسَائِلِ المَنْطِقِيَّةِ لاسِيَّما الَّتِي في أوَّلِ الكِتَابِ(١).

٨ـ قَراءةُ «بَيَانِ تَلْبِيسِ الجَهَمِيَّةِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ مَجْمُوْعَةٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ، طَبْعَةُ مُجَمَّعِ المَلِكِ فَهْدٍ لطِبَاعَةِ المُصْحَفِ الشَّرِيْفِ، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ: عَدَمِ الوُقُوْفِ كَثِيْرًا عِنْدَ المَسَائِلِ المَنْطِقِيَّةِ.

٩ـ قِرَاءةُ «النَّحْوِ الوَافي»(٢) لعَبَّاسِ بنِ حَسَنَ، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ: عَدَمِ قِرَاءةِ التَّفْصِيْلِ والزِّيَادَةِ مِنْ كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْه إلاَّ للحَاجَّةِ العِلْمِيَّةِ.

١٠ـ قِرَاءةُ «رَوْضَةِ النَّاظِرِ وجُنَّةِ المُنَاظِرِ» لابنِ قُدَامَةَ المَقْدَسِيِّ الحَنْبَلِيِّ

---

(١) أمَّا «مِنْهَاجُ السُّنةِ النَّبوِيَّةِ» فهُوَ بِحَاجَةٍ إلى تَقْرِيْبٍ لطُلابِ العِلْمِ تَقْرِيبًا عِلْمِيًّا، وتَهْذِيْبًا مُحَرَّرًا مَعَ فَهَارِسَ دَقِيْقَةٍ لِمَسَائِلِهِ وفَوَائِدِه، كُلُّ هَذا لأنَّ الكِتَابَ بِحَجْمِه هَذا أضْحَى للأسَفِ في زَمانِنا (حِجْرًا مَحْجُورًا) عَلى طُلابِ العِلْمِ المُعْتَنِيْنَ بالعَقِيْدَةِ، فالكِتَابُ يَضُمُّ بَيْنَ دَفَّتَيْه أُصُوْلاً وفُرُوعًا، وفَوَائِدَ وفَرَائدَ ... تَحْتَاجُ إلى تَقْرِيْبٍ وتَرْتِيْبٍ؛ لاسِيَّما أنَّ أكْثَرَ مَسَائِلِه لَهَا تَعَلُّقٌ بالشِّيْعَةِ الَّذِيْنَ يَزْدَادُوْنَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، فَحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيْلُ! اللَّهُمَّ لا تَذَرْ مِنْهُم عَلى الأرْضِ دَيَّارًا؛ إنَّكَ إنْ تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبَادَكَ ويُؤذُوْا صَحَابَةَ نَبِيِّكَ ... اللَّهُمَّ آمِيْنَ!

(٢) أمَّا «النَّحْوُ الوَافي» فَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ بَعْضِ المَلْحُوظاتِ؛ أُجْمِلُها فيما يَلي:

تَحْقِيْقُ عَبْدِ الكَرِيْمِ بنِ عَلِيٍّ النَّمْلَةِ، مَعَ مَلْحُوْظَةٍ : عَدَمِ قِرَاءةِ المُقَدِّمَةِ المَنْطِقِيَّةِ، ومَعَ تَضْمِيْنِ قِرَاءةِ «مُذَكِّرَةِ أُصُوْلِ الفِقْهِ» لمُحَمَّدٍ الأمِيْنِ الشِّنْقِيْطِيِّ، طَبْعَـةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ، بَابًا بِبَابٍ، جَنْبًا بِجَنْبٍ .

١١ـ قِرَاءةُ «الإتْقَانِ في عُلُوْمِ القُرْآنِ» للسِّيُوْطِيِّ، تَحْقِيْقُ مَجْمُوْعَـةٍ مِـنْ أَهْلِ العِلْمِ، طَبْعَةُ مُجَمَّعِ الملِكِ فَهْدٍ لطِبَاعَةِ المُصْحَفِ الشَّرِيْفِ .

١٢ـ قِرَاءةُ «الرَّائِدِ في عِلْمِ الفَرَائِضِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدِ العِيْدِ الخَطْرَاوِيِّ .

١٣ـ قِرَاءةُ «المُغْني» للفَقِيْهِ الحَنْبَلِيِّ أبي مُحَمَّدٍ ابن قُدَامَةَ المَقْدَسِيِّ، تَحْقِيقُ

أوَّلاً : أنَّه لم يَسْلَمْ مِنَ القَوْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ .

ثَانِيًا : أنَّه لَمْ يَسْلَمْ مِنَ التَّأوِيْلاتِ الأشْعَرِيَّةِ .

ثَالِثًا : أنَّه قَلِيْلُ الاسْتِشْهَادِ بالحَدِيْثِ النَّبَوِيِّ، وهَذَا المَنْهَجُ مَرْجُوحٌ مَرْفوضٌ جُمْلَـةً وتَفْصِيْلاً (وإنْ كَانَ عَلَيْه أكْثَرُ النُّحَاةِ!)، ولَيْسَ هَذَا مَحَلُّ بَسْطِ المَسْأَلَةِ هُنَـا، ومَـعَ هَذا فَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ كُتُبِ النَّحْوِ وزِيْنَتِها؛ بَلْ مِنْ أجْمَعِها وأنْفَعِها وأسْـهَلِها، ومَـا ذَاكَ إلاَّ لأسْلُوْبِه الآخَّاذِ، وأمْثِلَتِه الوَاقِعِيَّةِ، وشُمُولِهِ لمِبَاحِـثِ النَّحْـوِ والـصَّرْفِ، وتَحْرِيراتِه العِلْمِيَّةِ، وتَرْجِيْحَاتِهِ القَوِيَّةِ، وطَرْحِهِ للخِلافَاتِ المَنْطِقِيَّةِ الَّتي حُشِرَتْ بِها أكْثَرُ مَبْسُوْطَاتِ النَّحْوِ ... فَهُوَ بحَقٍّ كَافٍ وَافٍ، ولَهُ مِـنِ اسْـمِهِ حَـظٌّ وَافِـرٌ؛ حَيْثُ وَافَقَ الخُبْرُ الخَبَرَ؛ ولَيْسَ الخَبَرُ كالمُعَايَنَةِ، وإنْ كَانَ قَدْ سُبِقَ إلاَّ أنَّه لَحِقَ، واللهُ المُوَفِّقُ!

الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ، والشَّيْخِ عَبْدِ الفَتَّاحِ الحُلْوِ رَحِمَهُ اللهُ، مَعَ مَلْحُوْظَةِ: تَضْمِيْنِ قِرَاءةِ «مَجْمُوْعِ الفَتَاوى» لابنِ تَيْمِيَّةَ، بَابًا بِبَابٍ، جَنْبًا بِجَنْبٍ، ابْتِدَاءً مِنَ المُجَلَّدِ الحَادِي والعِشْرِيْنَ إلى النِّهَايَةِ.

١٤ـ قِرَاءةُ «فَتْحِ القَدِيْرِ» للشَّوْكَانِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عُمَيْرَةَ.

١٥ـ قِرَاءةُ «الآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ» للفَقِيْهِ الحَنْبَلِيِّ مُحَمَّدِ بنِ مُفْلِحٍ المَقْدَسِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ شُعَيْبٍ الأرْنَاؤُوْطِ، وعُمَرَ القَيَّامِ.

❑ ❑ ❑



الفَوَائِدُ والتَّنْبِيْهَاتُ

وفيهِ خَمْسُ تَنَابِيْه



فوَائِدُ وتَنْبِيْهَاتٌ

هُنَاكَ بَعْضُ الفَوَائِدِ والتَّنَابِيْهِ؛ كَانَ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ أنْ يَأخُذَها بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ؛ حَتَّى يَتَسَنَّى لَهُ الطَّرِيْقُ، ويَسْتَبِيْنَ لَهُ (المَنْهَجُ العِلْمِيُّ) حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ إنْ شَاءَ اللهُ!

* **التَّنْبِيْهُ الأوَّلُ**: أنَّ طَالِبَ العِلْمِ هُوَ صَاحِبُ القَرَارِ لاخْتِيَارِ مَا يُوَافِقُ قُدُرَاتِه العِلْمِيَّةَ مِنْ إحْدَى المَرَاحِلِ الأرْبَعِ، كَمَا لَهُ حَقُّ التَّنقُّلِ، واخْتِيَارُ مَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا مِنْ مَجْمُوْعِ هَذِه المَرَاحِلِ، شَرِيْطَةَ أنْ يَكُوْنَ قَدْ أتْقَنَ المَرْحَلَةَ الأُوْلَى والثَّانِيَةَ، أو مَا يُقَارِبُها مِنَ المُتُوْنِ المُخْتَصَرَةِ.

وأضِفْ هُنَا أمْرًا مِنَ الأهَمِيَّةِ بِمَكَانٍ: وهُوَ أنْ يَعْلَمَ طَالِبُ العِلْمِ بأنَّ المَرْحَلَتَيْنِ الأُوْلَتَيْنِ هُنَا؛ لَهِي مِنْ أهَمِّ المَرَاحِلِ العِلْمِيَّةِ في «البَرْنَامِجِ العِلْمِيِّ» فَعَلَيْهِمَا المُعْتَمَدُ (بَعْدَ اللهِ) لِفَهْمِ مَا سِوَاهُمَا، وهُمَا الوِرْدُ الصَّافي الَّذِي يَصْدُرُ الطَّالِبُ مِنْهُمَا، فلا تَعْجَلَنَّ اجْتِيَازَهُمَا، ولا تَسْتَثْقِلَنَّ مُدَارَسَتَهُمَا!

* * *

* **التَّنْبِيْهُ الثَّاني**: أنَّ طَالِبَ العِلْمِ إذَا تَجَاوَزَ مَرَاحِلَ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) الأرْبَعِ، فإنَّنَا نَدْفَعُ بِهِ (وبِمَنْ هَذِه حَالُه) أنْ يَحْمَدَ اللهَ تَعَالَى، وأنْ يَلْزَمَ الجَادَّةَ

في الاسْتِقَامَةِ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ عَقِيْدَةً ومَنْهَجًا، وأنْ يَأْخُذَ بآدَابِ الطَّلَبِ، وسَنَنِ العِلْمِ والحِلْمِ، وخَفْضِ الجَنَاحِ، ودَمَاثَةِ الأخْلاقِ، وأنْ يَتَدَثَّرَ بِثِيَابِ التَّوَاضُعِ، وسِمَةِ أهْلِ العِلْمِ، فَذَلِكَ المُتَنَاهِي في الفَضْلِ، العَالِي في ذُرَى المَجْدِ، الحَاوِي قَصَبَ السَّبْقِ، الفَائِزُ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ، إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى!

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «يَنْبَغِي للفَقِيْهِ أنْ يَضَعَ التُّرَابَ عَلَى رَأسِهِ تَوَاضُعًا لله، وشُكْرًا لَهُ»[1].

* * *

* التَّنْبِيْهُ الثَّالثُ: أنْ يَرْفَعَ طَالِبُ العِلْمِ رَأسًا بعَمَلِ مَا عَلِمَ، وأنْ يَصْبِرَ عَلَى الدَّعْوَةِ إلى الله تَعَالَى، إذِ الصَّبْرُ شَرْطٌ في نَيْلِ كُلِّ عَزِيْزٍ وغَالٍ.

ومِنْ مَحَاسِنِ الشِّعْرِ في الصَّبْرِ، مَا قَالَهُ ابنُ هِشَامٍ النَّحْوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

ومَنْ يَصْطَبِرْ للعِلْمِ يَظْفَرْ بنَيْلِهِ ... ومَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى البَذْلِ
ومَنْ لَمْ يُذِلَّ النَّفْسَ في طَلَبِ العُلا ... يَسِيْرًا يَعِشْ دَهْرًا طَوِيْلاً أخَا ذُلِّ

* * *

فَلا يَرَاكَ اللهُ يَا طَالِبَ العِلْمِ إلاَّ: مُتَعَلِّمًا أو عَامِلاً، مُجَاهِدًا أو مُجْتَهِدًا.

---

(١) انْظُرْ «سِيَرَ أعْلامِ النُّبلاءِ» للذَّهَبِيِّ (١٠/ ٥٣).

كَمَا قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «زَادِ المَعَادِ» (٣/ ١٠) : «فإذَا اسْتَكْمَلَ (العَبْدُ) هَذِه المَرَاتِبَ الأرْبَعَ (العِلْمَ، والعَمَلَ بِهِ، والدَّعْوَةَ إلَيْه، والصَّبْرَ عَلَيْه)؛ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّيْنَ!

فإنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُوْنَ عَلَى أنَّ العَالِمَ لا يَسْتَحِقُّ أنْ يُسمَّى رَبَّانِيًّا؛ حَتَّى يَعْرِفَ الحَقَّ، ويَعْمَلَ بِهِ، ويُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ؛ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا في مَلَكُوْتِ السَّمَوَاتِ» انْتَهى .

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «العِلْمُ يَهْتِفُ بالعَمَلِ، فإنْ أجَابَهُ وإلاَّ ارْتَحَلَ» .

وعَنْ أيُّوْبَ السِّخْتِيَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : قَالَ لِي أبُو قِلابَةَ : «إذَا أحْدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا فأحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً، ولا يَكُنْ هَمُّكَ أنْ تُحَدِّثَ بِهِ» .

وقَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «كُنَّا نَسْتَعِيْنُ عَلَى حِفْظِ الحَدِيْثِ بالعَمَلِ بِهِ»[1] .

* * *

وأُعِيْذُكَ باللهِ يَا طَالِبَ العِلْمِ مِنْ عِلْمِ المُنَافِقِ!، وقَدْ قِيْلَ : «عِلْمُ المُنَافِقِ في قَوْلِه، وعِلْمُ المُؤْمِنِ في عَمَلِه»[1] .

---

(١) انْظُرْ الآثَارَ في «جَامِعِ بَيَانِ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٥٣، ٧٠٧، ٧٠٩) .

فاللهَ اللهَ :«زَيِّنُوا العِلْمَ، ولا تَتَزَيَّنُوا به»[٢].

* * *

* التَّنْبِيْهُ الرَّابِعُ : اعْلَمْ إنَّ العِلْمَ نِصْفَانِ .

* نِصْفٌ : مَا حَوَتْهُ قَمَاطِرُ العِلْمِ؛ ابْتِدَاءً بالوَحْيَيْنِ (الكِتَابِ والسُّنَّةِ) ومَا تَخَرَّجَ مِنْهُما، أو حَامَ حَوْلَهُمَا، وانْتِهَاءً بِمَا تَضَمَّنَه «المَنْهَجُ العِلْمِيُّ» مِنْ تَنَابِيْهَ وعَزَائِمَ ... إلخ .

* ونِصْفٌ : هُوَ قَوْلُكَ فيمَا لا تَعْلَمُ : لا أَعْلَمُ، لا أدْرِي!

يَقُوْلُ أبُو دَاوُدَ رَحِمَهُ اللهُ : «قَوْلُ الرَّجُلِ فيما لا يَعْلَمُ : لا أعْلَمُ، نِصْفُ العِلْمِ»[٣].

* * *

فَقَدِ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ أهْلِ العِلْمِ أنَّ العَالِمَ إذَا أخْطَأ : (لا أدْرِي) فَقَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ!

فَحَذَارَ حَذَارَ يَا طَالِبَ العِلْمِ مِنْ تَنكُّبِ سَنَنِ أهْلِ العِلْمِ السَّالِفِينَ

---

(١) انْظُرْ «اقْتِضَاءَ العِلْمِ العَمَلَ» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ (٣٨) .

(٢) انْظُرْ «جَامِعَ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٦٥)، و«الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ (٦/ ٣٩٩) .

(٣) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (٢/ ٨٤٢) .

فيما لا عِلْمَ لَكَ فيه، بأنْ تَقُوْلَ : لا أدْرِي، فَمَا أبْرَدَها اليَوْمَ عَلَى الكَبِدِ، ومَا أحَرَّهَا يَوْمَ المَرَدِّ!

فإنْ كَانَ العِلْمُ (بِلا أدْرِي) نِصْفَ العِلْمِ، فَهِي واللهِ الجَهْلُ كُلُّهُ إذَا جُهِلَتْ!

***

قَالَ الرَّاجِزُ[1] :

فَإنْ جَهِلْتَ مَا سُئِلْتَ عَنْهُ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْهُ

فَلا تَقُلْ فيه بِغَيْرِ فَهْمِ إنَّ الخَطَأ مُزْرٍ بأهْلِ العِلْمِ

وقُلْ إذَا أعْيَاكَ ذَاكَ الأمْرُ مَالِي بِهَا تَسْأَلُ عَنْهُ خَبَرُ

فَذَاكَ شَطْرُ العِلْمِ عَنِ العُلَمَآ كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُوْلُ الحُكَمَآ

***

قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ : «كَانَ ابنُ عَبَّاسٍ يَقُوْلُ : إذَا أخْطَأ العَالِمُ لا أدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ»، وبِمِثْلِهِ قَالَ كَثِيْرٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ[2] .

---

(١) السَّابِقُ (٢/ ٨٤٢) .

(٢) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (٢/ ٨٣٩)، و«تَذْكِرَةَ السَّامِعِ والمُتكَلِّمِ» لابْنِ جَمَاعَةَ (٤٢)، و«الفَقِيْهَ والمُتَفَقِّهَ» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ (٢/ ١٧٢) .

فلا تكُنْ كَمَنْ قِيْلَ لَهُ[١] :

جَهِلْتَ فَعَادَيْتَ العُلُوْمَ وأهْلَهَا   كَذَاكَ يُعَادِي العِلْمَ مَنْ هُوَ جَاهِلُه

ومَنْ كَانَ يَهْوَى أنْ يُرَى مُتَصَدِّرًا   ويَكْرَهُ «لا أدْرِي» أُصِيبَتْ مَقَاتِلُه

***

قَالَ ابنُ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللهُ : «لَوْ كَتَبْنَا عَنْ مَالِكٍ : لا أدْرِي، لَمَلأنَا الألْوَاحَ» .

وعَنْ أبِي الذَّيَّالِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : «تَعَلَّمْ لا أدْرِي، فإنَّكَ إنْ قُلْتَ : لا أدْرِي، عَلَّمُوْكَ حَتَّى تَدْرِي، وإنْ قُلْتَ : أدْرِي، سَألُوْكَ حَتَّى لا تَدْرِي!»[٢] .

وهَذا الإمَامُ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ نَرَاهُ في كِتَابِ «أخْلاقِ العُلَماءِ» (١٠٨) يُحَذِّرُ أهْلَ العِلْمِ مِنْ تَرْكِ «لا أدْرِي» فيما لا عِلْمَ لَهُم بِه، بِقَوْلِه :

«وأمَّا الحُجَّةُ للعَالِمِ يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ لا يَعْلَمُه فَلا يَسْتَنْكِفْ أنْ يَقُوْلَ : لا أعْلَمُ، إذا كَانَ لا يَعْلَمُ، وهَذَا طَرِيْقُ أئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ مِنَ الصَّحَابَةِ ومَنْ بَعْدَهُم مِنَ أئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ . اتَّبَعُوا في ذَلِكَ نَبِيَّهُم ﷺ؛ لأنَّه كَانَ إذا سُئِلَ

---

(١) انْظُرْ «أدَبَ الدُّنْيا والدِّيْنِ» للمَاوَرْدِيِّ (٤٢) .

(٢) انْظُرْ الآثَارَ في «جَامِعِ بَيَانِ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (٢/ ٨٣٩، ٨٤٢) .

عَنِ الشَّيْءِ مِمَّا لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ فيه عِلْـمُ الـوَحْي مِـنَ اللهِ عَـزَّ وجَـلَّ فيَقُـوْلُ : «لا أدْرِي» .

وهَكَذَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ سُـئِلَ عَـنْ شَيْءٍ لَمْ يَتَقَـدَّمْ لَـهُ فيـه عِلْـمٌ أنْ يَقُوْلَ : اللهُ أعْلَمُ، ولا عِلْمَ لِي بِه، ولا يَتكَلَّفْ مَا لا يَعْلَمُه، فَهُوَ أعْذَرُ لَهُ عِنْـدَ اللهِ، وعِنْدَ ذَوِي الألْبَابِ» انْتَهَى .

* * *

* التَّنْبِيْهُ الخَامِسُ : فإنَّني أهْمِسُ وأُهَمْهِمُ في أُذُنِ طَالَبِ العِلْـمِ (إسْرَارًا لا جِهَارًا) : أنَّ طَالِبَ العِلْمِ إذا أتْقَنَ مَرَاحِلَ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) الأرْبَعِ، مَعَ مَا هُنَالِكَ مِنْ التَّنَابِيْهِ، والفَوَائِدِ، والعَزَائِمِ المَرْقُوْمَةِ في مَثَانِي (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) :

فَهُو أهْلٌ للفَتْوَى، والتَّصدُّرِ للدَّرْسِ والتَّعْلِيْمِ، وإنِّي عَلَــى ذَلِــكَ مِــنَ الشَّاهِدِيْنِ، واللهُ خَيْرٌ شَاهِدًا وحَافِظًا!

❑ ❑ ❑



البَابُ الثَّالِثُ

العَزَائِمُ العِلْمِيَّةُ

وفيهِ ثَلاثُ عَزَائِمَ

العَزائِمُ العِلْمِيَّةُ

فإنَّنا نُوْصِي كُلَّ مَنِ ائْتَمَّ بِمَا رَسَمْنَاهُ في (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) بأنْ لا يَنْسَ نَصِيْبَهُ مِنْ هَذِه العَزَائِمِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي جَادَتْ بِهَا النَّصِيْحَةُ الإيْمَانِيَّةُ، لأنَّ العِلْمَ رَحِمٌ بَيْنَ أهْلِهِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ ثَلاثِ عَزَائِمَ:

* العَزِيْمَةُ الأوْلَى: فإنَّنَا نُوْصِي مَنْ تَجَاوَزَتْ قُدُرَاتُه العِلْمِيَّةُ المَرَاحِلَ الأرْبَعَ كَمَا هِي في ثَوْبِ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) بأنْ يَقْرَأَ هَذِه الكُتُبَ لعُمُوْمِ الفَائِدَةِ، وعَظِيْمِ العَائِدَةِ، وهُوَ مَا وَقَعَ عَلَيْهَا اخْتِيَارُنَا بَعْدَ النَّظَرِ والتَّمْحِيْصِ،؛ لأنَّهُ «لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيْهِ ما يُحِبُّ لنَفْسِه»[1] مُتَّفَقٌ عَلَيْه:

١ـ قَرَاءةُ «فَتْحِ البَارِي» لابنِ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ أبي قُتَيْبَةَ نَظْرٍ الفَارِيَابِيِّ.

٢ـ قَرَاءةُ «شَرْحِ مُسْلِمٍ» للنَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

٣ـ قَرَاءةُ «اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ نَاصِرِ العَقْلِ.

---

(١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١/ ٥٦)، ومُسْلِمٌ (٤٥).

٤ـ قَراءةُ «إعْلامِ المُوَقِّعِيْنَ» لابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ مَشْهُوْرِ بنِ حَسَن .

٥ـ قَراءةُ «إغاثَةِ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ» لابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ الألْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٦ـ قَراءةُ «مَدارِجِ السَّالِكِيْنَ» لابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ عَبْدِ العَزِيْزِ الجِلَيِّلِ .

٧ـ قَراءةُ «الاعْتِصَامِ» للشَّاطِبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ مَشْهُوْرِ بنِ حَسَن .

٨ـ قَراءةُ «أضْوَاءِ البَيَانِ» للعَلامَةِ الأمِيْنِ الشّنْقِيْطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، طَبْعَةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ .

٩ـ قَراءةُ «رَسَائِلَ ودِرَاسَاتٍ في الأهْوَاءِ والافْتِرَاقِ والبِدَعِ ومَوْقِفِ السَّلَفِ مِنْها» للشَّيْخِ نَاصِرِ العَقْلِ .

١٠ـ قِرَاءةُ «ظَاهِرَةِ الإرْجَاءِ» لشَيْخِنَا العَلامَةِ سَفَرِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَوَالِيِّ .

١١ـ قِرَاءةُ «مَوْقِفِ ابنِ تَيْمِيَّةَ مِنْ الأشَاعِرَةِ»، و«القَضَاءِ والقَدَرِ»، وكَذَا

«الحُكْمِ بغَيْرِ مَا أنْزَلَ اللهُ» كُلُّها لـشَيْخِنَا المُحَـرِّرِ عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ المَحْمُـوْدِ، مَـعَ مُرَاعَاةِ قِرَاءةِ الجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ «مَوْقِفِ ابنِ تَيْمِيَّةَ» بتَدَبُّرٍ وتَأمُّلٍ .

١٢ـ قِرَاءةُ «المُعْتَزِلَةِ في أصُوْلِهِمُ الخَمْسَةِ» للشَّيْخِ عَوَّادٍ المُعْتِقِ .

١٣ـ قِرَاءةُ «زِيَادَةِ الإيمَانِ ونُقْصَانِهِ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ البَدْرِ .

١٤ـ قِرَاءةُ «المُوَالاةِ والمُعَادَاةِ» للشَّيْخِ مِحْمَاسٍ الجُلْعُوْدِ .

١٥ـ قِرَاءةُ «مَشَارِعِ الأشْـوَاقِ» للحَـافِظِ الـدِّمْيَاطِيِّ المـشْهُوْرِ بـابنِ النَّحَّاسِ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخَيْنِ إدْرِيْسَ بنِ مُحَمَّدٍ، ومُحَمَّدٍ إسْطَنْبُوْلِي .

١٦ـ قِرَاءةُ «الجِهَادِ والقِتَالِ»(١) للشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ خَيْرِ هَيْكَلٍ .

١٧ـ قِرَاءةُ «البِدَايَةِ والنِّهَايَةِ» لابنِ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ .

١٨ـ قِرَاءةُ «الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ» لأئِمَّةِ الدَّعْوَةِ، جَمْعُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القَاسِمِ رَحِمَهُ اللهُ .

---

(١) عَلَى طَالِبِ العِلْمِ أنْ يَتَحَقَّقَ مِنْ بَعْضِ تَرْجِيْحَاتِ مُحَمَّدٍ هَيْكَلٍ في كِتَابِه هَـذَا، مَـعَ مُرَاعَاةِ التَّدْقِيْقِ في تَحْرِيْرِ أقْوَالِ أهْلِ العِلْـمِ، ومَعْرِفَـةِ الـرَّاجِحِ مِنْهـا، ومَـعَ هَـذا فَكِتَابُه مِنْ نَفَائِسِ كُتُبِ الجِهَادِ؛ حَيْثُ جَمَعَ بَيْنَ التَّأصِيْلِ الشَّرْعِيِّ وفِقْهِ الوَاقِـعِ في صُوَرِه النَّازِلَةِ بسَاحَةِ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ!

١٩ـ قِرَاءةُ «مُقَدِّمَةِ ابنِ خُلْدُوْنٍ» لعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ خُلْدُوْنٍ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٠ـ قِرَاءةُ «عَوْدَةِ الحِجَابِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدِ ابنِ إسْمَاعِيْلَ المُقَدَّمِ .

٢١ـ قِرَاءةُ «الاتِّجَاهَاتِ الوَطَنِيَّةِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بن حُسَيْنٍ .

٢٢ـ قِرَاءةُ «الانْحِرَافَاتِ العَقَدِيَّةِ والعِلْمِيَّةِ» للشَّيْخِ عَلِيٍّ الزَّهْرَانِيِّ .

٢٣ـ قِرَاءةُ «أبَاطِيْلَ وأسْمَارٍ» لشَيْخِ العَرَبِيَّةِ مَحْمُوْدِ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٤ـ قِرَاءةُ «حَاضِرِ العَالَمِ الإسْلامِيِّ» للشَّيْخِ جَمِيْلِ المِصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٥ـ قِرَاءةُ «صَفَحَاتٍ مِنْ صَبْرِ العُلَمَاءِ»[1] للشَّيْخِ أبي غُدَّةَ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٦ـ قِرَاءةُ «جَوَاهِرِ الأدَبِ» لأحْمَدَ الهَاشِمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٧ـ قَِراءةُ «النِّهَايَةِ في غَرِيْبِ الحَدِيْثِ» لابنِ الأثِيْرِ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٨ـ قِرَاءةُ «المِصْبَاحِ المُنِيْرِ» للفَيُّوْمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٩ـ قِرَاءةُ «مُعْجَمِ المنَاهِي اللَّفْظِيَّةِ» للشَّيْخِ بَكْرٍ أبُو زَيْدٍ .

---

(١) تَنْبِيْهٌ : أمَّا مَا ذَكَرَهُ أبُو غُدَّةَ في (الجَانِبِ السَّابِعِ) مِنْ كِتَابِه هَذَا، وهُوَ التَّبَتُّلُ وتَرْكُ الزَّوَاجِ رَغْبَةً في العِلْمِ والتَّفَرُّغُ لأجْلِه، فَلَيْس مِنْ جَادَّةِ السُّنَّةِ؛ بَلْ هُوَ خِلافُ السُّنَّةِ وفِعْلِ السَّلَفِ والفِطْرَةِ، فهو مُسْتَدْرَكٌ!

٣٠ـ قِرَاءةُ «الحِطَّةِ في ذِكْرِ الصِّحَاحِ السِّتَّةِ» لأبي الطَّيِّبِ القِنَّوْجِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ عَلِيِّ بنِ حَسَنَ الحَلَبِيِّ .

كَمَا أُوْصِي نَفْسِي وإيَّاكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ؛ بألاَّ تَنْسَ نَصِيْبَكَ العِلْمِيَّ، وزَادَكَ الإيْمَانِيَّ مِنْ قِرَاءةِ وجَرْدِ كُتُبِ أئِمَّةِ السَّلَفِ؛ فَهِي واللهِ السَّمْعُ والبَصَرُ، فَهِي قِبْلَةُ العِلْمِ النَّافِعِ، والعَمَلِ الصَّالِحِ ... فَحَرَامٌ عَلَى شَادِي العِلْمِ أنْ يَتَبَصَّرَ عِلْمًا دُوْنَها، أو يَتَسَنَّنَ عَمَلاً غَيْرَها!

ومَهْمَا يَكُنْ؛ فَهَذِه شَذَرَاتٌ سَلَفيةٌ تُنَبِّؤُكَ بِمَا وَرَاءها، فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ، واشْدُدْ عَلَيْها المِئْزَرَ؛ فإنَّ مِثْلَها تُعْقَدُ عَلَيْها الأنَامِلُ، واللهُ حَسْبِيَ وهُوَ نِعْمَ الوَكِيْلُ!

* * *

* ومِنْ هَذِه الكُتُبِ (لا كُلِّها) :

١ـ كُتُبُ الحَافِظِ الإمَامِ الحُجَّةِ شَيْخِ المُفَسِّرِيْنَ أبي جَعْفَر مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيِّ (٣١٠) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّمَا كِتَابُه «جَامِعُ البَيَانِ عَنْ تَأوِيْلِ القُرْآنِ»، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ، و«تَارِيْخُ الأُمَمِ والمُلُوْكِ» تَحْقِيْقُ مُحَمَّدِ أبي الفَضْلِ إبْرَاهِيْمَ .

٢ـ كُتُبُ حَافِظِ المَغْرِبِ ابنِ عَبْدِ البَرِّ (٤٦٣) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «التَّمْهِيْدُ»، تَحْقِيْقُ مَجْمُوْعَةٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، وبإشْرَافِ وتَحْقِيْقِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ، و«الاسْتِيْعَابُ في مَعْرِفَةِ الأصْحَابِ» تَحْقِيْقُ عَادِلٍ مُرْشِدٍ.

٣ـ كُتُبُ حَافِظِ المَشْرِقِ الخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ (٤٦٣) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُهُ «الكِفَايةُ في مَعْرِفَةِ أُصُوْلِ عِلْمِ الرِّوَايَةِ»، تَحْقِيْقُ إبْرَاهِيْمَ الدِّمْيَاطِيِّ، وكَذَا «تَارِيْخُ دَارِ السَّلامِ» تَحْقِيْقُ بَشَّار مَعْرُوْفٍ.

٤ـ كُتُبُ الحَافِظِ الفَقِيْه ابنِ قُدَامَةَ (٦٢٠) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «المُغْني» تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ، والشَّيْخِ عَبْدِ الفَتَّاحِ الحُلْوِ رَحِمَهُ اللهُ، و«الكَافي»، تَحْقِيْقُ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ، و«رَوْضَةُ النَّاظِرِ» تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ الكَرِيْمِ النَّمْلَةِ.

٥ـ كُتُبُ الحَافِظِ الفَقِيْه النَّوَوِيِّ (٦٧٦) رحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «المَجْمُوْعُ»، و«شَرْحُ صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»، و«رِيَاضُ الصَّالِحِيْنَ» تَحْقِيْقُ عَلِيٍّ الحَلَبِيِّ.

٦ـ كُتُبُ الحَافِظِ الذَّهَبِيِّ (٧٤٨) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «سِيَرُ أعْلامِ النُّبَلاءِ» تَحْقِيْقُ شُعَيْبِ الأرْنَاؤُوطِ وجَمَاعَةٍ، و«تَارِيْخُ الإسْلامِ» تَحْقِيْقُ بَشَّار مَعْرُوْفٍ.

٧ـ كُتُبُ الحَافِظِ ابنِ كثيرٍ (٧٧٤) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «التَّفْسِيْرُ» تَحْقِيْقُ سَامِي السَّلامَةَ، و«البِدَايَةُ والنِّهَايَةُ» تَحْقِيْقُ عَبْدِ الله التُّرْكِيِّ .

٨ـ كُتُبُ الحَافِظِ ابنِ رجبٍ (٧٩٥) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «فَتْحُ البَارِي شَرْحُ صَحِيْحِ البُخَارِي» تَحْقِيْقُ طَارِقِ بنِ عوضٍ، و«ذِيْلُ الطَّبَقَاتِ» تَحْقِيْقُ شَيْخِنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ العُثَيْمِيْنِ ، و«جَامِعُ العُلُوْمِ والحِكَمِ» تَحْقِيْقُ شُعَيْبٍ الأرْنَاؤُوطِ، وعَبْدِ الله التُّرْكِيِّ .

٩ـ كُتُبُ الحَافِظِ ابنِ حَجَرٍ (٨٥٢) رَحِمَهُ اللهُ لاسِيَّما كِتَابُه «فَتْحُ البَارِي شَرْحُ صَحِيْحِ البُخَارِي»، تَحْقِيْقُ أبي قُتَيْبَةَ نَظْرٍ الفَارِيَابِيِّ، و«التَّلْخِيْصُ الحَبِيْرُ» تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الثَّانِي بنِ عُمَرَ، و«تَهْذِيْبُ التَّهْذِيْبِ» .

١٠ـ كُتُبُ أبي الفَضْلِ جَلالِ الدِّيْنِ السُّيُوطِيِّ (٩١١) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «الدُّرُّ المَنْثُوْرُ في التَّفْسِيْرِ بالمَأثُوْرِ» تَحْقِيْقُ عَبْدِ الله التُّرْكِيِّ ، و«الإتْقَانُ في عُلُوْمِ القُرْآنِ» تَحْقِيْقُ مَرْكَزِ الدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ بمَجْمَعِ المَدِيْنَةِ لطِبَاعَةِ المُصْحَفِ، و«تَدْرِيْبُ الرَّاوِيِّ»، تَحْقِيْقُ طَارِقِ بنِ عَوَضٍ .

١١ـ كُتُبُ الحَافِظِ الشَّوْكَانِيِّ (١٢٥٠) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «فَتْحُ القَدِيْرِ» تَحْقِيْقُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عُمَيْرَةَ، و«نَيْلُ الأوْطَارِ» تَحْقِيْقُ طَارِقِ بنِ عَوَضٍ .

١٢ـ كُتُبُ الإمَامِ الصَّنْعَانِيِّ (١١٨٢) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «سُبُلُ السَّلامِ» تَحْقِيْقُ طَارِقِ بنِ عوضٍ.

١٣ـ كُتُبُ العَلامَةِ الحَافِظِ الأُصُوْلِي الشِّنْقِيْطِيِّ (١٣٩٣) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «أضْوَاءُ البَيَانِ» طَبْعَةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ[1].

ومِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ؛ فَعَلَيْكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ باقْتِنَاءِ وقِرَاءةِ جَمِيْعِ كُتُبِ أئِمَّةِ الدِّيْنِ الرَّبَّانِيِّيْنَ أهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ:

وأُخُصُّ مِنْهُم: شَيْخَ الإسْلامِ العَالِمَ الرَّبَّانِيَّ فَارِسَ المَنْقُوْلِ والمَعْقُوْلِ أبَا العَبَّاسِ أحْمَدَ ابنَ تَيْمِيَّةَ[2] رَحِمَهُ الله تَعَالى (٧٢٨).

وكَذَا تَلْمِيْذَه البَارَ الإمَامَ الحَافِظَ الهُمَامَ شَمْسَ الدِّيْنِ أبا عَبْدِ الله مُحَمَّدَ

(١) تَنْبِيْهٌ: لَقَدْ خَرَجَتْ آثَارُ الشَّيْخِ العَلامَةِ مُحَمَّدِ الأمِيْنِ الشِّنْقِيْطِيِّ كَامِلَةً ولله الحَمْدُ، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِها، تَحْتَ إشْرَافِ الشَّيْخِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ الله أبُو زَيْدٍ، إصْدَارُ وطِبَاعَةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ، حَيْثُ خَرَجَتْ في تِسْعَةَ عَشَرَ مُجَلَّدٍ، فَدُوْنَكَ اقْتِنَاءَهَا!

(٢) تَنْبِيْهٌ: لَقَدْ خَرَجَتْ بَعْضُ آثَارِ شَيْخِ الإسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ومَا لحِقَهَا مِنْ أعْمَالٍ في مَجْمُوعَاتٍ، وسَتَخْرُجُ تِبَاعًا كَامِلَةً إنْ شَاءَ اللهُ، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِها، تَحْتَ إشْرَافِ الشَّيْخِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ الله أبُو زَيْدٍ، إصْدَارُ وطِبَاعَةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ، ولله الحَمْدُ، فَدُوْنَكَ اقْتِنَاءَهَا!

ابنَ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ[1] رَحِمَهُ الله تَعَالى (٧٥١) .

وكَذَا الإمَامَ المُجَدِّدَ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ الوَهَّابِ[2] رَحِمَهُ الله (١٢٠٦) .

* * *

* وكَذا كُتُبُ شَيْخِنا العَلامَةِ عَبْدِ العَزِيْزِ ابنِ بازٍ، وشَـيْخِنا العَلامَـةِ مُحَمَّدٍ الصَّالِحِ العُثَيْمِيْنِ ، وشَيْخِنا العَلامَةِ عَبْدِ الله البَسَّامِ ، ومُحَدِّثِ الـشَّامِ العَلامَةِ مُحَمَّدِ بنِ نَاصِرِ الدِّيْنِ الألْبَانِيِّ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى .

* وكَذَا كُتُبُ شَيْخِنا العَلامَةِ عَبْدِ الله بـنِ عَقِيْـلٍ، وشَـيْخِنا العَلامَـةِ عَبْدِ الله الجِبْرِيْنِ، وشَيْخِنا العَلامَةِ صَالحِ الفَوْزَانِ، وشَيْخِنا العَلامَةِ بَكْرٍ أبُـو

(١) تَنْبِيْهٌ : لَقَدْ خَرَجَتْ بَعْضُ آثَارِ الإمَامِ ابنِ قَيِّمِ الجَوزِيَّـةِ ومَـا لحِقَهَـا مِـنْ أعْـمَالٍ في مَجْمُوعَاتٍ، وسَتَخْرُجُ تِباعًا كَامِلَةً إنْ شَاءَ اللهُ، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِـيٍّ لأكْثَرِهـا، تَحْـتَ إشْرَافِ الشَّيْخِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ الله أبُو زَيْدٍ، إصْـدَارُ وطِبَاعَـةُ دَارِ عَـالَمِ الفَوائِـدِ، ولله الحَمْدُ، فَدُوْنَكَ اقْتِناءهَا!

(٢) تَنْبِيْهٌ : لَقَدْ طُبِعَتْ كُتُبُ شَيْخِ الإسْلامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّـابِ رَحِمَـهُ اللهُ كَامِلَـةً في أحَدَ عَشَرةَ مُجلَّدًا، تَحْتَ عُنْوَانِ : «مُؤَلَّفَاتِ الشَّيْخِ الإمَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ»، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِها، تَحْتَ إشْرَافِ جَامِعَةِ الإمَامِ مُحَمَّدِ بنِ سُعُودٍ الإسْلامِيَّةِ، ولله الحَمْدُ، فَدُوْنَكَ اقْتِناءَهَا!

زَيْدٍ، حَفِظَهُمُ اللهُ تَعَالَى في غَيْرِهِم مِنْ أَهْلِ العِلْمِ الكِبَارِ مِمَّنْ لا يَسَعُهُم هَذا المَقَامُ .

* * *

* العَزِيْمَةُ الثَّانِيَةُ : إنَّنَا نُوْصِي طَالِبَ العِلْمِ المُبْتَدِئ والمُنْتَهِي عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ؛ بأنْ يَكُوْنَ لَهُ (وِرْدٌ عِلْمِيٌّ) في كُلِّ سَنَةٍ أو سَنَتَيْنِ عَلَى أقَلِّ تَقْدِيْرٍ وأضْعَفِ حَالٍ، وذَلِكَ بِدَوَامِ النَّظَرِ والقِرَاءةِ لبَعْضِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي لا يَسَعُ طَالِبُ العِلْمِ أنْ يَجْهَلَهَا أو يَتَجَاهَلَهَا، لاسِيَّمَا مِمَّنْ تَصَدَّرَ للفَتْوَى والتَّعْلِيْمِ، ورَامَ التَّألِيْفَ والتَّحْقِيْقَ ...!

فَدُونكَهَا؛ كُتُبًا عِلْمِيَّةً، وكُنُوْزًا عَلَيَّةً، فاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَيْهَا، ولا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْها، فمِنْها المُبْتَدَى وإلَيْها المُنْتَهَى بَعْدَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وكُتُبِ سَلَفِ الأمَّةِ المُحَقِّقِيْنَ :

* قِرَاءةُ «القُرْآنِ الكَرِيْمِ»، أو مُرَاجَعَةُ حِفْظِهِ (مِرَارًا) .

* قِرَاءةُ «الصَّحِيْحَيْنِ»، أو مُرَاجَعَةُ حِفْظِهِما .

* قِرَاءةُ «بُلُوْغِ المَرَامِ» لابنِ حَجَرٍ، تَحْقِيْقُ سَمِيْرٍ الزُّهَيْرِيِّ، أو مُرَاجَعَةُ حِفْظِهِ .

* قِرَاءةُ «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» لابنِ تَيْمِيَّةَ .

* قِرَاءةُ «فَتحِ المَجِيْدِ»، لعَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ الشَّيْخِ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ الوَلِيْدِ آلِ فُرَيَّانَ .

* قِرَاءةُ «شَرْحِ العَقِيْدَةِ الطَّحَاوِيَّـةِ» لابـنِ أَبِي العِـزِّ، تَحْقِيْـقُ التُّرْكِـيِّ والأرْناؤوطِ .

* قِـرَاءةُ «تَفْسِيْرِ القُرْآنِ العَظِيْمِ» لابـنِ كَثِيْرٍ، تَحْقِيْـقُ الشَّيْخِ سَامِي السَّلامَةِ.

* قِرَاءةُ «المُغْنِي» لابنِ قُدَامَةَ المَقْدِسِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِـيِّ، والشَّيْخِ عَبْدِ الفَتَّاحِ الحُلْوِ رَحِمَهُ اللهُ .

* قِرَاءةُ «زَادِ المَعَادِ في هَدْيِ خَيْرِ العِبَادِ» لابنِ القَيِّمِ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخَيْنِ عَبْدِ القَادِرِ الأرْنَاؤُوْطِ، وشُعَيْبٍ الأرْنَاؤُوْطِ .

* قِرَاءةُ «رَوْضَةِ النَّاظِرِ وجُنَّةِ المُنَاظِرِ» لابـنِ قُدَامَـةِ المَقْـدَسِيِّ الحَنْبَلِيِّ، تَحْقِيْقُ عَبْدِ الكَرِيْمِ النَّمْلَةِ، و«مَعَالِمِ أصُوْلِ الفِقْهِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الجَيْزَانِيِّ .

* قِرَاءةُ «تَدْرِيْبِ الرَّاوِيِّ» للسِّيُوْطِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ أبي مُعَاذٍ طَارِقِ بنِ عَوَضٍ .

* قِـرَاءةُ «سَبِيْلِ الهُدَى بتَحْقِيْقِ شَرْحِ قَطْرِ النَّدَى وبَلِّ الصَّدَى» لُمحَمَّـدِ مُحْي الدِّيْنِ عَبْدِ الحَمِيْدِ، أو «الدُّرَرِ البهيَّةِ شَرْحِ مُتَمِّمَةِ الآجُرُّومِيَّةِ»[١] لرَاقِمِه .

* * *

* العَزِيْمَةُ الثَّالثَةُ : فإنَّنَا نُوْصِي عَامَّةَ المُسْلِمِيْنَ مِنْ غَيْرِ طُـلابِ العِلْـمِ الشَّرْعِيِّ مِمَّنْ لا يَعْلَمُوْنَ كَثِيْرًا مِنْ مَعَالِمِ وحَقَائِقِ الدِّيْنِ[٢]، بأنْ يَأخُـذُوا بِهَـذِه العَزِيْمَةِ الأخَوِيَّةِ .

ومَا ذَاكَ إلاَّ أنَّ أعْدَاءَ الدِّيْنِ لَمْ يَزَالُوا يَنْفِثُوْنَ سُمُوْمَ أفْكَارِهِم، ويَبْسِطُوْنَ ألْسِنَتَهُم في عَقِيْدَةِ وأخْلاقِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ .

---

(١) نَعَمْ؛ إنَّ اشْتِهارَ كِتَابِ «قَطْرِ النَّدَى»، وعُلُوَّ كَعْبِ صَاحِبِه لا يَشْفَعُ لَهُ مِـنْ بعـضِ المُؤاخَذَاتِ العِلْمِيَّةِ؛ لاسِيَّما في التَّقْسِيْماتِ العَقْليـةِ؛ حَيْـثُ أخَـذَتْ مِـنَ المؤَلِّـفِ طَرِيقًا وَاسِعًا في تَرْتِيْبَاتِ مَسَائِلِ النَّحْوِ وتفْرِيعَاتِـه، وكـذا قلَّـةُ أمْثِلتِـه، وهَجْـرِهِ للشَّوَاهِدِ النَّبويَّةِ، وعُمْقِ اخْتِصَارِه؛ ممَّا كَانَ سَبَبًا في إغْلاقِه عَـلَى كَثِـيرٍ مِـنْ طَلَبَـةِ العِلْمِ في غَيْرِها مِنَ المؤَاخَذَاتِ، واللهُ أعْلَمُ .

(٢) أقْصِدُ بالعَامَّةِ هُنا : مَنْ يُحْسِنُ القِـرَاءةَ والكِتَابَـةَ مَـعْ فَهْـمٍ صَـحِيْحٍ : كالمُـشْتَغِلِيْنَ بالعُلُوْمِ الطَّبِيْعِيَّةِ، والرِّياضِيَّةِ، والفَلَكِيَّةِ، كالطبِّ، والهَنْدَسَةِ وغَيْرِها، وكَذَا أهْـلُ المِهَنِ والحِرَفِ والصِّنَاعَاتِ .

لاسِيَّما أنَّنا نَعِيشُ أيَّامًا حَالِكَةً مُهْلِكَةً؛ حَيْثُ ظَهَرَ فيها الجَهْـلُ، وقَـلَّ العِلْمُ، ونَدَّ الحَقُّ، وعَلا البَاطِلُ، وكَثُرَ الخَبَثُ ...!

لأجْلِ هَذا وغَيْرِه؛ فَقَدْ حَقَّتِ النَّصِيْحَةُ الإيْمَانِيَّةُ بـأنْ تَـشْمَلَ العَامَّـةَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ، وذَلِكَ بِرَسْمِ قَاعِـدَةٍ عِلْمِيَّـةٍ عَامَّـةٍ يَـشْتَرِكُ فيهـا الجَمِيْـعُ، مِمَّـا سَتكُوْنُ إنْ شَاءَ اللهُ عَوْنًا لعُمُوْمِ المُسْلِمِيْنَ لَفَهْمِ دِيْـنِهِم، وحِـصْنًا مَنِيْعًـا مِـنْ عَادِيَةِ الأفْكَارِ المَشْبُوْهَةِ، والثَّقَافَاتِ الدَّخِيْلَةِ السَّائِمَةِ في قَنَوَاتِ الإعْلامِ هُنَـا وهُنَاكَ .

وذَلِكَ مِنْ خِلالِ بَعْضِ الكُتُبِ الإسْلامِيَّةِ، الَّتِـي نَـرَى مِـنَ الأهَمِيَّـةِ بِمَكَانٍ قِرَاءتَها، واقْتِنَاءهَا لَدَى جَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ لاسِيَّما هَذِه الأيَّامَ العَصِيْبَةَ .

فَمِنْ تِلْكَ الكُتُبِ مَا يَلي :

١ـ قِرَاءةُ «**القَوْلِ السَّدِيْدِ في مَقَاصِدِ التَّوْحِيْـدِ**» للـشَّيْخِ عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ، تَحْقِيْقُ صَبْرِي شَاهِيْنَ .

٢ـ قِرَاءةُ «**عَقِيْدَةِ التَّوْحِيْدِ**» للشَّيْخِ صَالِحٍ الفَوْزَانِ، طَبْعةُ العَاصِمَةِ .

٣ـ قِرَاءةُ تَفسِيرِ «**زُبْدَةِ التَّفْسِيْرِ**» للشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الأشْقَرَ، طَبْعةُ دَارِ النَّفَائِسِ أو «**تَيْسِيْرِ الكَرِيْمِ الرَّحْمَنِ**» للشَّيخِ العَلامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ .

٤ـ قِرَاءةُ «الرَّحِيْقِ المَخْتُوْمِ» للشَّيْخِ صَفي الـرَّحْمَنِ المُبَـارَكْفُوْرِيِّ، مَـعَ مَلْحُوْظَةِ : أَنْ تَكُوْنَ القِرَاءةُ مِنْ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ، وأَسْرَتِه .

٥ـ قِرَاءةُ المُجَلَّدِ الأَوَّلِ مِنْ كِتَـابِ «المُلَخَّصِ الفِقْهِيِّ» للـشَّيْخِ صَـالِحِ الفَوْزَانِ، وهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ رُبْعِ العِبَادَاتِ، طَبْعَةُ دَارِ العَاصِمَةِ .

٦ـ قَراءةُ «رِيَاضِ الصَّالِحِيْنَ» للإمَامِ النَّوَوِيِّ، تَحْقِيْقُ عَـلِيِّ بـنِ حَـسَنَ الحَلَبِيِّ .

٧ـ قَراءةُ «تَزْكِيَةِ النُّفُوْسِ» لأَحْمَدَ فَرِيْدٍ، وآخَرِيْنَ .

٨ـ قَراءةُ «حِصْنِ المُسْلِمِ» للشَّيْخِ سَـعِيْدِ بـنِ وَهْـفٍ القَحْطَـانِيِّ، مَـعَ مَلْحُوظَةِ: حِفْظِ مَا يُمْكِـنُ حِفْظُـه مِـنَ الأَحَادِيْـثِ لاسِـيَّما أَذْكَـارُ الـصَّبَاحِ والمَسَاءِ .

* * *

لَطِيْفَةٌ : لَقَدْ اقْتَصَرْنا في هَذِه العَزِيْمَةِ الأَخَوِيَّـةِ الـشَّامِلَةِ للعَامَّـةِ مِـنَ المُسْلِمِيْنَ : بثَمَانِيَةِ كُتُبٍ عِلْمِيَّةٍ؛ عَسَاهَا تَكُـوْنَ سَـبَبًا لِـدُخُوْلِنا جَمِيْعًـا مِـنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، اللَّهُمَّ آمِيْنَ!

❑ ❑ ❑

البَابُ الرَّابِعُ

العَوَائِقُ والعَلائِقُ

وفيهِ خَمْسُ عَوَائِقَ وعَلائِقَ



العَوَائِقُ والعَلائِقُ

إنَّ العِلْـمَ الـشَّرْعِيَّ، لا يَكُـوْنُ شَرْعِيًّـا مَقْبُـوْلاً إلاَّ إذا خَلُـصَ مِـنَ العَوَائِقِ والعَلائِقِ، وسَلِمَ مِنَ الدَّسَائِسِ والحَوَائِلِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ؛ فلْيَعْلَمِ الجَمِيْعُ: بأنَّ العِلْـمَ الـشَّرْعِيَّ لَـهُ عَوَائِـقُ كَثِـيْرَةٌ تَقْطَعُ السَّيْرَ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ، وتُفْسِدُ عَلَيْه الطَّلَبَ والقَصْدَ، كَمَا أنَّهـا مُحْبِطَـةٌ لصَالِحِ الأعْمَالِ، ومُجْلِبَةٌ للحِرْمَانِ والخُسْرَانِ؛ ومَنْ أحَاطَتْ بِهِ فَقَـدْ أوْبَقَـتْ دِيْنَهُ ودُنْيَاهُ؛ فَنَعُوْذُ باللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ عَمَلٍ لا يُرْفَعُ.

***

ومَهْمَا قِيْلَ؛ فإنَّ العَوَائِقَ كَثِيْرَةٌ لا تَنْتَهِي إلى حَدٍّ ولا عَدٍّ، فمِنْها:

الكِبْرُ، بَطَرُ الحَقِّ، غَمْطُ النَّاسِ، حَسَدُ الأقْرَانِ، الرِّياءُ، العُجْبُ، تَزْكِيَةُ الـنَّفْسِ، سُوْءُ الخُلُقِ، العِلْمُ بِلا عَمَلٍ، التَّرَفُ، العَجْزُ والكَسَلُ، سُوْءُ الظَّنِّ، تَصْنِيْفُ النَّاسَ بالظَّنِّ والتَّشَهِّي، غَيْرَةُ الأقْرَانِ، تَلَقِّي العِلْمَ عَنِ المُبْتَدعَةِ، أخْذُه عَنِ الأصَـاغِرِ، تَتَبُّعُ الرُّخَصِ والشُّذُوْذَاتِ العِلْمِيَّةِ، نَشْرُ أُغْلُوْطَاتِ المَسَائِلِ، حُـبُّ الـشُّهْرَةِ، التَّعَالُمُ، التَّصَدُّرُ قَبْلَ التَّأهُّلِ، التَّنَمُّرُ بالعِلْمِ، تَعْظِـيْمُ عُلُـوْمِ الـدُّنْيَا وألْقَابِهـا، التَّخَصُّصُ (الجَامِعِيُّ)، التَّقْلِيْدُ المَذْهَبِيُّ، التَّعَصُّبُ العِلْمِـيُّ، التَّحَـزُّبُ المقِيْـتُ، الانْهِزَامُ العِلْمِيُّ (الدَّعَوِيُّ)، رِقُّ الوَظَائِفِ، كَثْرَةُ المِزَاحِ، فُـضُوْلُ المُبَاحَـاتِ،

خَوَارِمُ المُرُوْءة، الإصْرَارُ عَلَى الصَّغَائرِ، ارْتكَابُ الكَبَائِرِ، المُجَاهَرَةُ بالمَعَاصِي، حُبُّ الدُّنْيَا، الدُّخُوْلُ عَلَى السَّلاطِيْنِ ... إلخ .

***

فأمَّا إنْ سَأَلْتَ يَا طَالِبَ العِلْمِ عَنْ جَامِعِ الغَوَائِلِ وأصْلِها، فَهُمَا أمْرَانِ (مُرَّانِ)، مَا ابْتُلِي بِهِمَا أحَدٌ إلاَّ هُتِكَ سِتْرُه، وافْتُضِحَ أمْرُه، ورَقَّ دِيْنُه، وحُرِمَ خَيْرُه، (نُعُوْذُ باللهِ مِنْ كُلِّ سُوْءٍ)!

الأوَّلُ : حُبُّ الدُّنْيا .

والثَّاني : الدُّخُوْلُ عَلَى السَّلاطِيْنِ، وهُمَا عَائِقَانِ مُهْلِكَانِ[1] .

يَقُوْلُ النَّبِيُّ ﷺ : «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بأفْسَدَ لَهَا : مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ، والشَّرَفِ لدِيْنِه»[2] أحمدُ .

فأصْلُ مَحَبَّةِ المَالِ والشَّرَفِ حُبُّ الدُّنْيا، وأصْلُ حُبِّ الدُّنْيا بَلاطُ

---

(١) لَقَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَ العَوَائِقِ (حُبَّ الدُّنْيا، والدُّخُوْلِ عَلَى السَّلاطِيْنِ، وتَعْظِيْمِ العُلُوْمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وألْقَابِها، والتَّخَصُّصِ الجَامِعِيِّ، وفُضُوْلِ المُبَاحَاتِ) بشَيْءٍ مِنَ البَسْطِ دُوْنَ سِوَاها؛ وما ذَاكَ إلاَّ أنَّ كَثِيْرًا مِنْ المُنْتَسِبِيْنَ إلى العِلْمِ مِنْ أهْلِ زَمَانِنَا قَدْ تَوَسَّعُوا فيها (فَيَا أسَفَاه)!

(٢) أخْرَجَهُ أحمَدُ (٣/ ٤٥٦)، والتِّرمِذِيُّ (٢٣٧٦)، وهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ .

السَّلاطِيْنِ، وفيها اسْتِحْكَامُ الهُلْكَةِ؛ فَنَعُوْذُ باللهِ مِنَ الهَوَى والدُّنْيَا!

يَقُوْلُ ابنُ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللهُ : «إنَّ جَمْعَ المَالِ وغِشْيَانَ السُّلْطَانِ، لا يُبْقِيَانِ مِنْ حَسَنَاتِ المَرْءِ إلاَّ كَمَا يُبْقِي ذِئْبَانِ جَائِعَانِ سَقَطَا في حَظَارٍ فيه غَنَمٌ؛ فَبَاتا يَجُوْسَانِ حَتَّى أصْبَحَا»(١) .

* * *

* **فأمَّا العَائِقُ الأوَّلُ** : فَهُوَ حُبُّ الدُّنْيا وزِيْنَتِها، فَهَذَا (واللهِ!) بَيْتُ الدَّاءِ، ونَامُوْسُ السَّفْلَةِ والرَّعَاعِ، ومَبْلَغُ رَأسِ عِلْمِ الخَالِفينَ، وسُوْقُ المُتَعَالِمِيْنَ، فَعَيَاذًا باللهِ مِنْها!

فيَا طَالِبَ العِلْمِ؛ الحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيا، «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أكْبَرَ هَمِّنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا**»(٢) آمِيْنَ!

فَقَدْ قَالَ تَعَالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد٢٠] .

وقَالَ ﷺ : «**إنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُم فيها؛ فَيَنْظُرُ كَيْفَ**

---

(١) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٣٩) .

(٢) أخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٠٢) وهُوَ صَحِيْحٌ .

تَعْمَلُوْنَ؟ فاتَّقُوا الدُّنْيا واتَّقُوا النِّسَاءَ، فإنَّ أوَّلَ فِتْنَة بَنِي إسْرَائِيْلَ كَانَتْ في النِّسَاءِ»[(١)] مُسْلِمٌ.

وقَالَ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِه وَجْهَ اللهِ لا يَتَعَلَّمَهُ إلاَّ لِيُصِيْبَ بِه عَرَضًا مِنَ الدُّنْيا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٢)] أحْمَدُ، يَعْنِي: رِيْحَهَا.

***

قِيْلَ للإمَامِ أحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ: إنَّ ابنَ المُبَارَكِ قِيْلَ لَهُ: كَيْفَ يُعْرَفُ العَالِمُ الصَّادِقُ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَزْهَد في الدُّنْيا، ويُقْبِلُ عَلَى أمْرِ الآخِرَةِ، فَقَالَ أحْمَدُ: كَذَا يَنْبَغِي أنْ يَكُوْنَ، وكَانَ أحْمَدُ يُنْكِرُ عَلَى أهْلِ العِلْمِ حُبَّ الدُّنْيا، والحِرَصَ عَلَيْها!»[(٣)].

***

قَالَ الإمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لا عَيْبَ في العُلَمَاءِ أقْبَحُ مِنْ رَغْبَتِهم

---

(١) أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٤٢).

(٢) أخْرَجَهُ أحْمَدُ(٢/ ٣٣٨)، وأبُو دَاوُدَ (٣٦٦٤)، وابنُ مَاجه (٢٥٢) وهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ.

(٣) انْظُرْ «شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ في طَلَبِ العِلْمِ» لابنِ رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ «مَجْمُوْعِ رَسَائِلِ ابنِ رَجَبٍ» جَمْعُ أبِي مُصْعَبٍ الحَلْوَانِيِّ (١/ ٥٦).

فيمَا زَهَّدَهُم اللهُ فيه! »[١]، أي : حُبَّ الدُّنْيَا .

قَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ : «لَكَثِيْرٌ مِـنْ عُلَمَائِكِـم زِيُّـهُ، أشْـبَهُ بِزِيِّ كِسْرَى وقَيْصَرَ مِنْهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، إنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ، ولا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ، ولَكِنْ رُفِعَ لَه عِلْمٌ فَشَمَّرَ إلَيْه»[٢] .

وقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ «إذَا فَـسَدَ العُلَـمَاءُ؛ فَمَـنْ يُـصْلِحُهُم؟ وفَسَادُهُم مَيْلُهُم عَلَى الدُّنْيا، وإذَا جَرَّ الطَّبِيْبُ الدَّاءَ إلى نَفْسِه فَكَيْـفَ يُـدَاوِي غَيْرَه؟!»[٣] .

وقَالَ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ : «إذَا رَأيْتُم العَالِمَ مُحِبًا لدُنْيَاه؛ فـاتَّهِمُوْهُ عَلَى دِيْنِكِم، فإنَّ كُلَّ مُحِبٍّ لشَيْءٍ يَحُوْطُ ما أحَبَّ»[٤]، أمَّا قَوْلُه : «فاتَّهِمُوْهُ عَلَى

---

(١) انْظُرْ «بَيَانَ العِلْمِ الأصِيْلِ» لعَبْدِ الكَرِيْمِ الحُمَيْدِ (٢٦).

(٢) انْظُرْ «أخْلاقَ العُلَمَاءِ» للآجُرِّيِّ (٨٦)، و«الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِيِّ (٨/ ٩٢)، و«سِيَرَ أعْلامِ النُّبَلاءِ» للذَّهَبِيِّ (٨/ ٤٣٤) .

(٣) انْظُرْ «الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِيِّ (٦/ ٣٣٩)، و«جَـامِعَ بَيَـانِ العِلْـمِ وفَـضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٧١١، ٦٤٣) بِنَحْوِه .

(٤) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٧٠) .

دِيْنِكِم»، أيْ : لا تَأخُذُوا مِنه شَيْئًا مِنْ أمُـوْرِ الـدِّيْنِ، سَـوَاءٌ كَانَـتْ فَتْـوَى أو عِلمًا، لأنَّه مُتَّهَمٌ في دِيْنِه، وقَدْ قِيْـلَ : العِلْـمُ دِيْـنٌ، فـانْظُرُوا عَمَّـنْ تَأخُـذُوْنَ دِيْنكُم، واللهُ أعْلَمُ .

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ «مِنْ شَرْطِ العَالِمِ أنْ لا تَخْطُـرَ مَحَبَّـةُ الدُّنْيا عَـلَى بَالِـه!، وقِيْـلَ لَـهُ : مَـنْ سِـفْلَةُ النَّـاسِ؟ قَـالَ : الَّـذِيْنَ يَتَعَيَّـشُوْنَ بِدِيْنِهِم!»[1] .

كَانَ يُقَالُ : «أشْرَفُ العُلَمَاءِ مَنْ هَرَبَ بدِيْنِهِ عَنِ الـدُّنْيا، واسْتَـصْعَبَ قِيَادُهُ عَلَى الهَوَى»[2] .

نَعَمْ؛ فإنَّ طَلَبَ العِلْمِ يَدُلُّ عَلَى الهَرَبِ مِنَ الدُّنْيا، لا عَلَى حُبِّهـا، أمَّـا أهْلُ زَمَانِنا فَشَيْءٌ آخَرُ، فإلى اللهِ المُشْتكَى، وعَلَيْهِ التُّكْلانُ!

وقَالَ حَسَنُ بنُ صَالِحٍ رَحِمَهُ اللهُ : «إنَّكَ لا تَفْقَهُ حَتَّى لا تُبَالِي في يَدَيْ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيا»[3] .

---

(١) انْظُرْ «الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِيِّ (٨/ ١٧٨) بنَحْوِه .

(٢) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٥٦) .

(٣) السَّابِقُ (١/ ٦٦٠) .

ومَا أبْلَغَ مَا هُنَا!؛ إذْ يَقُوْلُ الآجُـرِّيُّ رَحِمَـهُ اللهُ في «أخْـلاقِ العُلَـمَاءِ» (٨٩) : «فإذَا كَانَ يُخَافُ عَلَى العُلَمَاءِ في ذَلِكَ الزَّمَانِ أنْ تَفْتِـنَهُم الـدُّنْيا!، فَـمَا ظَنُّكَ بِهِ في زَمَانِنَا هَذَا؟ اللهُ المُسْتَعَانُ . مَا أعْظَمَ مَا قَدْ حَلَّ بالعُلَمَاءِ مِنَ الفِـتَنِ وَهُم عَنْهُ في غَفْلَةٍ!» انْتَهَى.

قُلْتُ : وَكَأنِّي بالآجُرِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ يَصِفُ أكْثَرَ عُلَمَاءِ زَمَانِنا مِمَّنْ فَتَنَـتهُمُ الدُّنْيَا بقُصُوْرِهَا ومَرَاكِبِهَا! وهُمْ حَتَّى سَاعَتِي هَذِه مَا بَـيْنَ غَفْلَـةٍ أو تَغَافُـلٍ، وجَهْلٍ أو تَجَاهُلٍ بالفِتَنِ العَاصِفَةِ بالعِبَادِ والبِلادِ، فاللهُ المُسْتَعَانُ!

* * *

* **وأمَّا العَائِقُ الثَّاني** : فَهُوَ الدُّخُوْلُ عَـلَى الـسَّلاطِيْنِ، وأهْـلِ الـدُّنْيا، فَهَذَا (واللهِ!) المَوْتُ الأسْوَدُ، والحَوْرُ بَعْدَ الكَوْرِ، إلاَّ مَنْ سَـلَّمَهُ اللهُ، وقَلِيْـلٌ مَا هُم، فعِيَاذًا باللهِ مِنْه!

فيَا طَالِبَ العِلْمِ؛ الحَذَرَ الحَذَرَ مِنَ الدُّخُوْلِ عَلَى السَّلاطِيْنِ، وأهْلِ الدُّنْيا!

فَقَدْ قَالَ ﷺ : «**مَنْ بَدَا جَفَا، ومَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، ومَنْ أتَى أبْـوَابَ السُّلْطَانِ افْتَتَنْ، ومَا زَادَ أحَدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إلاَّ ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا**»[1] أحْمَدُ.

---

(١) أخْرَجَهُ أحمد (٢/ ٣٧١)، وهُوَ صَحِيْحٌ، انْظُرْ «السِّلْسِلَةَ الصَّحِيْحَةَ» (١٢٧٢).

وقَـالَ ﷺ : «إيَّاكُم وأبْوَابَ السُّلْطَانِ؛ فإنَّه قَدْ أصْبَحَ صَعْبًا هَبُوْطًا»[١]، الدَّيْلَمِيُّ، (هَبُوْطًا : ذُلاًّ) .

***

قَالَ أبُو حَازِمٍ رَحِمَهُ اللهُ «لَقَدْ أتَتْ عَلَيْنا بُرْهَـةٌ مِـنْ دَهْرِنـا ومَـا عَـالِمٌ يَطْلُبُ أمَيْرًا، وكَانَ الرَّجُلُ إذا عَلِمَ اكْتَفَى بالعِلْمِ عَمَّا سِـوَاه، فكَـانَ في ذَلِـكَ صَلاحٌ للفَرِيْقَيْنِ (للوَالِي والمَوَلَّى عَلَيـه)، فَلَـمَّا رَأتِ الأمَـرَاءُ أنَّ العُلَـماءَ قَـدْ غَشَوْهُم وجَالَسُوْهُم وسَألُوْهُم مَا في أيْدِيْهِم هَـانُوا عَلَـيْهم وتَرَكُـوا الأخْـذَ عَنهُم والاقْتِبَاسَ مِنْهُم، فكَانَ ذَلِكَ هَلاكٌ للفَرِيْقَيْنِ»[٢] انْتَهَى .

واجْتَازَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمًا ببَعْضِ القُرَّاءِ عَلَى أبْوَابِ السَّلاطِيْنِ فَقَـالَ : «أقْـرَحْتُمْ جِبَـاهَكُم، وفَـرْطَحْتُمْ نِعَـالَكُمْ، وجِئْـتُمْ بـالعِلْمِ تَحْمِلُوْنَه عَلَى رِقَابِكِم إلى أبْوَابِهِم؟ فَزَهِدُوا فـيكُم، أمَـا إنَّكُـم لَـوْ جَلَـسْتُم في

---

(١) أخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ (١/ ٢/ ٣٤٥)، وابنُ عساكر (١٣/ ٢٣٢)، وقَد صَحَّحَ إسْـنادَه الألْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيْحَةِ» (١٢٥٣) .

(٢) انْظُرْ «الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ (٣/ ٢٤٣) و«شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الـدَّرْدَاءِ» لابـنِ رَجَـبٍ، وهُوَ ضِمْنُ «مَجْمُوْعِ رَسَائِلِ ابنِ رَجَبٍ» جَمْعُ أبي مُصْعَبٍ الحَلْوَانِيُّ (١/ ٥٧) .

بِيُوْتِكِم حَتَّى يَكُوْنُوا هُمُ الَّذِيْنَ يُرْسِلُوْنَ إِلَيْكُم؛ لَكَانَ أعْظَمَ لَكُمْ في أعْيُنِهِمْ، تَفَرَّقُوا فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ أضْلاعِكِمُ!»[1] انْتَهَى .

وقَالَ كَعْبُ الأحْبَارِ رَحِمَهُ اللهُ «يُوْشِكُ أنْ تَرَوْا جُهَّالَ النَّاسِ يَتَبَاهَوْنَ بالعِلْمِ، ويَتَغَايَرُوْنَ عَلَى التَّقَدُّمِ بِهِ عِنْدَ الأمَرَاءِ، كَمَا يَتَغَايَرُ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ، فَذَلِكَ حَظُّهُم مِنْ عِلْمِهِم»[2] .

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «إذَا رَأيْتُم العَالِمَ (القارئ) يَلُوْذُ ببَابِ السَّلاطِيْنِ فاعْلَمُوا أنَّه لِصٌّ، وإذا رَأيْتُمُوْهُ يَلُوْذُ ببَابِ الأغْنِيَاءِ فاعْلَمُوا أنَّه مُرَاءٍ»[3]، وبِمِثْلِهِ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[4] .

وقِيْلَ لسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : «ألاَ تَدْخُلُ عَلَى الأمَرَاءِ فَتَتَحَفَّظُ وتَعِظَهُم وتَنْهَاهُم؟ فَقَالَ : تَأمُرُوْنِي أنْ أسْبَحَ في البَحْرِ ولا تَبْتَلَّ قَدَمَاي؟ إنِّي

---

(١) انْظُرْ «شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ في طَلَبِ العِلْمِ» لابنِ رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ «مَجْمُوْعِ رَسَائِلِ ابنِ رَجَبٍ» جَمْعُ أبِي مُصْعَبٍ الحَلْوَانِيُّ (١/ ٥٧-٥٨) .

(٢) انْظُرْ «الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِيِّ (٥/ ٤١٢) .

(٣) انْظُرْ «الآدَابَ الشَّرْعِيَّةَ» لابنِ مُفْلِحٍ (٢/ ١٥٥) .

(٤) انْظُرْ «الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِيِّ (٦/ ٤٢٨) .

أخَافُ أنْ يُرَحِّبُوا بِي فأمِيْلُ إليْهِم فيَحْبَطَ عَمَلِي!»[١] انْتَهَى.

ومِنْ دَقِيْقِ الخَوْفِ؛ مَا ذَكَرَهُ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ بقَوْلِهِ: «كُنْتُ قَدْ أُوْتِيْتُ فَهْمَ القَرْآنِ، فلَمَّا قَبِلْتُ الصُّرَّةَ مِنْ أبِي جَعْفَرٍ؛ سُلِبْتُه، فنَسْألُ اللهَ تَعَالَى المُسَامحَةَ!»[٢].

ومَا أجْمَلَ مَا هُنَا؛ وذَلِكَ عِنْدَمَا كَتَبَ إمَامُ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ أحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ إلى سعِيْدِ بنِ يَعْقُوْبَ: «أمَّا بَعْدُ: فإنَّ الدُّنْيا دَاءٌ، والسُّلْطَانَ دَاءٌ، والعَالِمَ طَبِيْبٌ، فإذَا رَأيْتَ الطَّبِيْبَ يَجُرُّ الدَّاءَ إلى نَفْسِه فاحْذَرْهُ، والسَّلامُ عَلَيْكَ!»[٣] انْتَهَى.

وقَدْ قِيْلَ: «إنَّ خَيْرَ الأمَرَاءِ مَنْ أحَبَّ العُلَمَاءَ، وإنَّ شَرَّ العُلَمَاءِ مَنْ أحَبَّ الأمَرَاءَ!»[٤].

وحَسْبُكَ أنَّ هَذَا هُوَ القَانُوْنُ الَّذِي يُوْزَنُ بِه العُلَمَاءُ والأمَرَاءُ: خَيْرًا وشَرًّا!

---

(١) السَّابِقُ (٧/ ٤٤).

(٢) انْظُرْ «تَذْكِرَةَ السَّامِعِ والمُتكَلِّمِ» لابنِ جَمَاعَةَ (٤٨).

(٣) انْظُرْ «بَيَانَ العِلْمِ الأصِيْلِ» لعَبْدِ الكَرِيْمِ الحُمَيْدِ (٢٦).

(٤) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٤٤).

ورَحِمَ اللهُ أبَا الحَسَنِ عَلِيَّ بنَ عَبْدِ العَزِيْزِ الجُرْجَانِيَّ إذْ يَقُوْلُ(١):

ولَـوْ أنَّ أهْلَ العِلْمِ صَانُوْهُ صَانَهُم ... ولَوْ عَظَّمُوْهُ في النُّفُوْسِ لَعُظِّمَا

ولَكِنْ أهَـانُوْهُ فَهَانُـوا ودَنَّسُـوْا ... مُحَيَّاهُ بـالأطْمَـاعِ حَتَّى تَجَهَّمَـا

***

ومَهْمَا يَكُنْ، فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ يا طَالِبَ العِلْمِ عَلَيْهِم حَسَرَاتٍ؛ فإنَّه لَمَّا مَاتَ شَيْخُ الإسْلامِ وقُدْوَةُ العُلَمَاءِ سُفْيَانُ الثَّـوْرِيُّ رَحِمَـهُ اللهُ، قَـالَ بَعْـضُ العُلَمَاءِ : «مَعْشَرَ أهْلِ الهَوى كُلُـوا الـدُّنْيا بالـدِّيْنِ، فَقَـدْ مَـاتَ سُـفْيَانُ!»(٢)، يَعْنِي : مَا بَقِي بَعْدَهُ أحَدٌ يُسْتَحْيَا مِنْه!، قُلْتُ : فإنْ لَمْ يَكُنْ سُفْيَانُ، فاللهُ أحَـقُّ أنْ يُسْتَحْيَ مِنْه!

---

(١) لَقَدْ أدْرَكْنا مَشَايخَنا وهُمْ يَحْفَظُوْنَ قَصِيْدَةَ الجُرْجَانِيِّ كَامِلَةً، ولَمْ يَزَلِ العَهْـدُ مُتَّـصِلاً فالحَمْدُ للهِ، فاشْدُدْ يا طَالِبَ العِلْمِ بِحَبْلِ حِفْظِها؛ ففيهـا صِـفَاتُ العَـالِمِ الرَّبَّـانِيِّ، وفيها حِكَمٌ ومَوَاعِظُ عَزِيْزَةٌ؛ لاسِيَّما هَذِه الأيَّامِ!، انْظُرْها «أدَبُ الـدُّنْيا والـدِّيْنِ» للمَاوَرْدِيِّ (١٣٢)، و«طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ» للسُّبْكِيِّ (٣/ ٤٦٠) وانْظُرْها كَامِلَـةً في «صَفَحَاتٍ مِنْ صَبْرِ العُلَمَاءِ» لأبِي غُدَّةَ (٣٥٢) .

(٢) انْظُرْ «شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ في طَلَبِ العِلْمِ» لابنِ رَجَبٍ، (١/ ٥٥) .

ولا يَهُوْلَنَّكَ يا طَالِبَ العِلْمِ مَا هُنَالِكَ مِنْ نَوَابِتَ نَكِدَةٍ لَمْ تَزَلْ تَسْعَى جَاهِدَةً في إحْيَاءِ مُخَالَفَةِ مَسَالِكِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ الصَّالِحِ في الدُّخُوْلِ عَلَى السَّلاطِيْنِ والأمَرَاءِ، وذَلِكَ بدَفْعِ طُلابِ العِلْمِ إلى مَرَاتِعِ الشَّهَوَاتِ، ومَهَالِكِ الشُّبُهَاتِ؛ ليَهِيْمُوا في «وَادِي تُضُلِّلَ»، مِمَّا قَدْ تَعْصِفُ بِمَا بَقِيَ مِنْ عِزَّةِ أهْلِ العِلْمِ!

وذَلِكَ مِنْ خِلالِ دَعَوَاتٍ عَرِيْضَةٍ (مَرِيْضَةٍ!)، وتَصَانِيْفَ بَتْرَاءَ دَاعِيَةً مَضَامِيْنُها وعَنَاوِيْنُها إلى الدُّخُوْلِ عَلَى الأمَرَاءِ والسَّلاطِيْنِ، ولَوْ بِشَرْطِ: الأمْرِ بالمَعْرُوْفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ!، فاحْذَرْ يا طَالِبَ العِلْمِ، وانْجُ بِعِلْمِكَ، وفِرَّ بدِيْنِكَ فإنَّه رَأسُ مَالِكَ، واعْلَمْ إنَّ هَذَا الشَّرْطَ كَانَ عِنْدَ السَّلَفِ عَزِيْزًا عَسِيْرًا، أمَّا اليَوْمَ فأدْعِيَاءُ الشَّرْطِ كَثِيْرٌ، والعَامِلُوْنَ بِه نَزْرٌ يَسِيْرٌ، لا يَتَجَاوَزُوْنَ أصَابعَ اليَدِ الوَاحِدَةِ!

***

ويَكْفي هُنَا مَا ذَكَرَه ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «فَقَدْ كَانَ كَثِيْرٌ مِنَ السَّلَفِ يَنْهَوْنَ عَنِ الدُّخُوْلِ عَلَى المُلُوْكِ لِمَنْ أرَادَ أمْرَهُم بالمَعْرُوْفِ ونَهْيَهُم عَنِ المُنْكَرِ أيْضًا، ومِمَّنْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ: عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ، وابنُ المُبَارَكِ، والثَّوْرِيُّ، وغَيْرُهُم مِنَ الأئِمَّةِ.

وقَالَ ابنُ المُبَارَكِ : لَيْسَ الآمِرُ النَّاهِي عِنْدَنا مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِم (السَّلاطِيْنِ) فأمَرَهُم ونَهَاهُم، إنَّما الآمِرُ النَّاهِي مَنِ اعْتَزَلَهُم!

وسَبَبُ مَا يُخْشَى مِنْ فِتْنَةِ الدُّخُوْلِ عَلَيْهِم، فإنَّ النَّفْسَ قَدْ تُخَيِّلُ للإنْسَانِ إذَا كَانَ بَعِيْدًا أنَّه يَأمُرُهُم ويَنْهاهُم ويُغْلِظُ عَلَيْهِم، فإذَا شَاهَدَهُم قَرِيْبًا مَالَتْ النَّفْسُ إلَيْهِم، لأنَّ مَحَبَّةَ الشَّرَفِ كَامِنَةٌ في النَّفْسِ لَهُ، ولِذَلِكَ يُدَاهِنُهُم ويُلاطِفُهُم، ورُبَّمَا مَالَ إلَيْهِم وأحَبَّهُم، ولاسِيَّما إنْ لاطَفُوْه وأكْرَمُوْه، وقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُم، وقَدَ جَرَى ذَلِكَ لعَبْدِ الله بنِ طَاوُوْسٍ مَعَ بَعْضِ الأمَرَاءِ بِحَضْرَةِ أبِيْه طَاوُوْسَ فَوَبَّخَهُ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ .

وكَتَبَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ إلى عَبَّادِ بنِ عَبَّادٍ، وكَانَ في كِتَابِهِ : «إيَّاكَ والأُمَراءَ أنْ تَدْنُو مِنْهُم، أو تُخَالِطَهُم في شَيْءٍ مِنَ الأشْيَاءِ .

وإيَّاكَ أنْ تُخْدَعَ ويُقَالُ لَكَ : لتَشْفَعَ وتَدْرَأ عَنْ مَظْلُوْمٍ أو تَرُدَّ مَظْلَمَةً، فإنَّ ذَلِكَ خَدِيْعَةُ إبْلِيْسَ، وإنَّما اتَّخَذَها فُجَّارُ القُرَّاءِ سُلَّمًا، ومَا كُفِيتَ عَنِ المَسْألَةِ والفُتْيا فاغْتَنِمْ ذَلِكَ، ولا تُنَافِسْهُم»[1] انْتَهى .

---

(١) انْظُرْ «شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ في طَلَبِ العِلْمِ» لابنِ رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ «مَجْمُوْعِ رَسَائِلِ ابنِ رَجَبٍ» جَمْعُ أبِي مُصْعَبٍ الحَلْوَانِيُّ (١/ ٨٦-٨٧) .

وقَالَ سُفْيَانُ أيْضًا : «مَا أخَافُ مِنْ عُقُوْبَتِهم، إنَّما أخَافُ مِنْ كَرَامَتِهِم!»[١] .

ولِهَذَا قَالَ الإمَامُ أحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ : «فِتْنَتِي بالمُتَوكِّلِ أعْظَمُ مِنْ فِتْنَتِي بالمُعْتَصِمِ!» يُشِيْرُ إلى الإكْرَامِ[٢] .

ورَحِمَ اللهُ ابنَ عَبْدِ البَرِّ إذْ يَقُوْلُ في «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ» (١/ ٦٤٤) عَنْ مجَالِسِ أمَرَاءِ العَدْلِ والفَضْلِ: «الفِتْنَةُ فيها أغْلَبُ، والسَّلامَةُ مِنْها تَرْكُ مَا فيها» .

ومَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا؛ مِنْ عَدَمِ الدُّخُوْلِ عَلى السُّلْطَانِ فَلَيْسَ بِدَعًا مِنَ القَوْلِ ولا هُجْرًا، ومَا كَانَ حَدِيْثًا يُفْتَرى؛ بَلْ هُوَ مِنْ جَادَّةِ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ وأئِمَّةِ الدِّيْنِ، وإنْ كَانَ للدُّخُوْلِ عَلَيْهِم مِنْ حَتْمٍ أو مَنْدُوْحَةٍ على بَعْضِ أهْلِ العِلْمِ؛ فكَما يَلي :

أوَّلاً : أنْ يَكُوْنَ الدُّخُوْلُ عَلَى السُّلْطَانِ مِنْ بَابِ أمْرِهِ بالمَعْرُوْفِ، ونَهيِهِ عَنِ المُنْكَرِ، وإلاَّ .

---

(١) انْظُرْ «الجَلِيْسَ الصَّالِحَ» لِسِبْطِ ابنِ الجَوْزِيِّ (٢٠١) .

(٢) انْظُرْ السَّابِقَ .

ثانيًا : أنْ يَكُوْنَ الدُّخُوْلُ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ التَّذْكِيْرِ والمَوْعِظَةِ، وإلاَّ .

ثالثًا : أنْ يَكُوْنَ الدُّخُوْلُ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ إجَابَةِ دَعْوَةِ السُّلْطَانِ، وذَلِكَ فيما لَوْ أمَرَهُ وَليُّ الأمْرِ بالدُّخُوْلِ والمَجِيءِ، وإلاَّ حَسْبُكَ!

فإنَّا وإيَّاكَ؛ لَنْ نَنْسَ «**ومَنْ أتَى أبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتَتَنْ**»، و«**إيَّاكُم وأبْوَابَ السُّلْطَانِ؛ فإنَّه قَدْ أصْبَحَ صَعْبًا هَبُوْطًا**»، «وإيَّاكَ أنْ تُخْدَعَ فإنَّ ذَلِكَ خَدِيْعَةُ إبْلِيْسِ»، و«السُّلْطَانُ دَاءٌ، والعَالِمُ طَبِيْبٌ، فإذَا رَأيْتَ الطَّبِيْبَ يَجُرُّ الدَّاءَ إلى نَفْسِه فاحْذَرْهُ»، فاحْذَرْ أنْ يُرَحِّبُوا بِكَ فَتَمِيْلَ إلَيْهِم مَيْلاً عَظِيمًا، والسَّلامُ عَلَيْكَ يا طَالِبَ العِلْمِ والعزَّةِ!

* * *

* **أمَّا العَائِقُ الثَّالِثُ** : أنْ تَحْذَرَ يَا طَالِبَ العِلْمِ مِنَ الاشْتِغَالِ والنَّظَرِ في دَرَكَاتِ الهُوْنِ والدُّوْنِ، مِنْ عُلُوْمِ أهْلِ زَمَانِنَا، ومَا هُمْ فيه مِنْ شَارَاتٍ وضْعِيَّةٍ[1]، وألْقَابٍ جَوْفَاءَ، مَا أنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ أو بُرْهَانٍ، اللَّهُمَّ هَوَىً وظُنُوْنًا يَتَغَشَّوْنَ بِهَا مَجَالِسَ العِلْمِ، ليَسْتَبِيْحُوا بِهَا زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيا، إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي!

---

(١) أي : بَعْضُ الأسْمَاءِ العِلْمِيَّةِ الوَافِدَةِ عَلَيْنا : كـ(الدُّكْتُوْرَاه)، و(الماجِسْتِيْر)، و(البَكَلَرْيُوس)، وغَيْرِها .

واعْلَمْ يَا رَعَاكَ اللهُ: إنَّ العِلْمَ مَا جَاءَ عَنِ الكِتَابِ، والسُّنَّةِ، وأصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ، وهَذَا مَا أجْمَعَ عَلَيْه سَلَفُ الأمَّةِ.

قَالَ الإمَامُ الأوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «العِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أصْحَابِ مُحَمَّدٍ، ومَا لَمْ يَجِيء عَنْهُم فَلَيْسَ بِعِلْمٍ»[1].

***

وهَاكَ يا طَالِبَ العِلْمِ هَذِه القَاعِدَةَ السَّلَفيةَ في وِزَانِ عُلُوْمِ السَّلَفِ وعُلُوْمِ الخَلَفِ، وهُوَ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ في «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (١٠/ ٦٦٤): «العِلْمُ المَوْرُوْثُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّه هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أنْ يُسَمَّى عِلْمًا، وما سِوَاهُ إمَّا أنْ يَكُوْنَ عِلْمًا فَلا يَكُوْنُ نَافِعًا.

وإمَّا أنْ لا يَكُوْنَ عِلْمًا وإنْ سُمِّيَ بِه، ولئِنْ كَانَ عِلْمًا نَافِعًا فَلابُدَّ أنْ يَكُوْنَ في مِيْرَاثِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا يُغْنِي عَنْه مِمَّا هُوَ مِثْلُه وخَيْرٌ مِنْه!».

وقَالَ أيْضًا رَحِمَهُ اللهُ في أهَمِيَّةِ مُخَالَفَةِ أعْمَالِ الكُفَّارِ؛ ولَوْ كَانَ فِيْهِ إتْقَانٌ، مَا ذَكَرَهُ في «اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ» (١/ ١٧٢): «فإذًا المُخَالَفَةُ

---

(١) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٤٤)، و«البِدَايَةَ والنِّهَايَةَ» لابنِ كَثِيْرٍ (١٠/ ١١٧).

لَهُم (أيْ : مُخَالَفةُ الكُفَّارِ) فيها مَنْفَعَةٌ وصَلاحٌ لَنا في كُلِّ أمُوْرِنا؛ حَتَّى مَا هُم عَلَيْه مِنْ اتْقَانِ بَعْضِ أمُوْرِ دُنْيَاهُم؛ قَدْ يَكُوْنُ مُضِرًا بأمْرِ الآخِرَةِ، أو بِما هُوَ أهَمُّ مِنْهُ مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا، فالمُخَالَفَةُ فيه صَلاحٌ لَنَا» .

***

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **«يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، ويَنْقُصُ العِلْمُ، وتَظْهَرُ الفِتَنُ، ويَكْثُرُ الهَرْجُ، قِيْلَ يَا رَسُوْلَ اللهِ : أيْمُ هُوَ؟ قَالَ : القَتْلُ القَتْلُ»**[1] البُخَارِيُّ .

وفي هَذَا الحَدِيْثِ نُكْتَةٌ عِلْمِيَّةٌ نَفيسَةٌ ذَكَرَها الإمَامُ الحَافِظُ أبُو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِه في «مُقَدِّمَةِ المَجْرُوْحِيْنَ» (١٢) : «في هَذَا الخَبَرِ دَلِيْلٌ عَلَى أنَّ مَا لَمْ يَنْقُصْ مِنَ العِلْمِ لَيْسَ بعِلْمِ الدِّيْنِ في الحَقِيْقَةِ!

وفيه دَلِيْلٌ عَلَى أنَّ ضِدَّ العِلْمِ يَزِيْدُ، وكُلَّ شَيْءٍ زَادَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مَرْجِعُه إلى الكِتَابِ والسُّنَّةِ فَهُوَ ضِدُّ العِلْمِ» انْتَهى .

***

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِه خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّيْنِ»**[2] مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

ومِنْه نَعْلَمُ قَطْعًا؛ أنَّ كُلَّ عِلْمٍ لَمْ يَكُنْ مِنَ الدِّيْنِ فَلَيْسَ بِفِقْهٍ ، ومَنِ اشْتَغَلَ

---

(١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٦٩٠) وغَيْرُه .

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١/ ٢٧)، ومُسْلِمٌ (٣/ ٩٥) .

بغَيْرِه فَلَيْسَ مِمَّنْ أرَادَ اللهُ بِه خَيْرًا أصَالَةً لا حِوالَةً[١]!

***

وعَلَيْه؛ فاعْلَمْ إنَّ هَذِه العُلُوْمَ الطَّبِيْعِيَّة وغَيْرَها مِمَّا هِيَ مِنْ عُلُوْمِ الدُّنْيا (الطَّبِيْعيَّة، الهَيْئَة، الرِّياضِيَّة، الهَنْدَسَة، الطِّبَّ وغَيْرَها)[٢] الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ بأنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ بِشَيْءٍ، كَمَا أنَّه لا يَضُرُّ الجَهْلُ بِها، ولا يَنْفَعُ العِلْمُ بِها، بَلْ هِي عُلُوْمٌ دِنْيَوِيَّةٌ؛ المَقْصُوْدُ مِنْهَا عِمَارَةُ الدُّنْيَا!

يَقُوْلُ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ في «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (٢٧/ ٣٩٤):

«لَكِنَّ المَقْصُوْدَ أنْ يُعْرَفَ أنَّ الصَّحَابَةَ خَيْرُ القُرُوْنِ، وأفْضَلُ الخَلْقِ بَعْدَ الأنْبِياءِ!

فَمَا ظَهَرَ (مِنَ العُلُوْمِ) فيمَنْ بَعْدَهُم مِمَّنْ يَظُنُّ أنَّها فَضِيْلَةٌ للمُتَأخِّرِيْنَ، ولَمْ تَكُنْ فيهِم فإنَّها مِنْ الشَّيْطَانِ، وهِي نَقِيْصَةٌ لا فَضِيْلَةٌ سَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ

---

(١) لأنَّ الخَيْرَ يَكُوْنُ في العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ أصَالَةً، وفي غَيْرِه مِنَ عُلُوْمِ الدُّنْيا يَكُوْنُ تِبَاعًا!

(٢) لَقَدْ تَكَلَّمْتُ عَنْ: «عِلْمِ الطِّبِّ، وعِلْمِ الاجْتِماعِ، والإعْجَازِ العِلْمِيِّ»، بِشَيْءٍ مِنَ البَسْطِ والتَّحْرِيْرِ، وبَيَّنْتُ كَثِيْرًا مِنْ أخَطَائِها العِلْمِيَّةِ، وآثَارِها العِمَلِيَّةِ، وحَذَّرْتُ مِنَ الجَرْيِ ورَاءهَا والانْبِهَارِ بِها إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرْتُه هُنَاكَ، وأسْأَلُ اللهَ أنْ يُيَسِّرَ إخْرَاجَها قَرِيْبًا!

جِنْسِ العُلُوْمِ، أو مِنْ جِنْسِ العِبَادَاتِ، أو مِنْ جِنْسِ الخَـوَارِقِ والآيَـاتِ، أو مِنْ جِنْسِ السِّيَاسَةِ والمُلْكِ؛ بَلْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَهُم أَتْبَعَهُم لَهُم» .

وقَالَ أيْضًا رَحِمَهُ اللهُ في «المَجْمُوْعِ» (٩/ ١٢٦) في مَعْـرَضِ رَدِّه عَـلَى أرْبَابِ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ، لاسِيَّما أرْبَابُ الفَلْسَفَةِ مِـنْهُم :«فـإنَّ عِلْـمَ الحِـسَابِ الَّذِي هُوَ عِلْمٌ بالكَمِّ المُنْفَصِلِ، والهَنْدَسَةِ الَّتِي هِيَ عِلْمٌ بـالكَمِّ المُتَّـصِلِ عِلْـمٌ يَقِيْنِيٌّ لا يَحْتَمِلُ النَّقِيْضَ البَتَّةَ : مِثْلُ جَمْعِ الأعْدَادِ وقِسْمَتِها وضَرْبِهـا، ونِـسْبَةِ بَعْضِها إلى بَعْضٍ ... والمَقْصُوْدُ أنَّ هَذا العِلْمَ الَّذِي تَقُوْمُ عَلَيْه بَرَاهِيْنُ صَادِقَةٌ لَكِنْ لا تَكْمُلُ بِذَلِكَ نَفْسٌ، ولا تَنْجُـو مِـنْ عَـذَابٍ، ولا تُنَـالُ بِـه سَـعَادَةٌ» انْتَهى .

* * *

يَقُوْلُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَـهُ اللهُ في بَيَـانِ أنـواعِ العُلُـوْمِ، مَـا جَـاءَ في كِتَابِـه «الفَوَائِدِ» (١٦٠) : «نَوْعٌ تَكْمُلُ النَّفْسُ بإدْرَاكِهِ والعِلْمِ بِه، وهُوَ العِلْـمُ بـالله وأسْمَائِه وصِفَاتِه وأفْعَالِه وكُتُبِه وأمْرِه ونَهْيِه .

ونَوْعٌ لا يَحْصُلُ للنَّفْسِ بِه كَمَالٌ : وهُوَ كُلُّ عِلْمٍ لا يَـضُرُّ الجَهْـلُ بِـه، فإنَّه لا يَنْفَعُ العِلْمُ بِها في الآخِرَةِ .

وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَعِيْذُ باللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وهَذَا حَالُ أكْثَرِ العُلُوْمِ الصَّحِيْحَةِ المُطَابِقَةِ الَّتِي لا يَضُرُّ الجَهْلُ بِها شَيْئًا: كالعِلْمِ بالفَلَكِ ودَقَائِقِه ودَرَجَاتِه، وعَدَدِ الكَوَاكِبِ ومَقَادِيْرِها، والعِلْمِ بعَدَدِ الجِبَالِ وألْوَانِها ومَسَاحَتِها، ونَحْوِ ذَلِكَ، فَشَرَفُ العِلْمِ بِحَسَبِ شَرَفِ مَعْلُوْمِه، وشِدَّةِ الحَاجَةِ إلَيْه، ولَيْسَ ذَاكَ إلاَّ العِلْمُ باللهِ وتَوَابِعِ ذَلِكَ» انْتَهَى .

***

وقَالَ أيْضًا في مَعْرَضِ الرَّدِّ عَلَى عُلَماءِ الفَلْسَفَةِ، مَا ذَكَرَهُ في «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ١٢٢) : «وإمَّا عِلْمٌ طَبِيْعِيٌّ صَحِيْحٌ غَايَتُه مَعْرِفَةُ العَنَاصِرِ، وبَعْضِ خَوَاصِهَا وطَبَائِعَها، ومَعْرِفَةُ بَعْضِ مَا يَتَرَكَّبُ مِنْها، ومَا يَسْتَحِيْلُ مِنَ المُوْجِبَاتِ إلَيْها، وبَعْضِ مَا يَقَعُ في العَالَمِ مِنَ الآثَارِ بامْتِزَاجِها واخْتِلاطِها ... وأيُّ كَمالٍ للنَّفْسِ في هَذا؟ وأيُّ سَعَادَةٍ لَهَا فيه؟!» انْتَهَى .

وقَالَ أيْضًا في مَعْرَضِ الرَّدِّ عَلَى أهْلِ الطِّبِّ، مَا بَيَّنَهُ في «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ٣١٨-٣١٩) بِقَوْلِهِ : «وحَاجَةُ النَّاسِ إلى الشَّرِيْعَةِ ضَرُوْرَةٌ فَوْقَ حَاجَتِهم إلى أيِّ شَيءٍ، ولا نِسْبَةَ لحاجَتِهم إلى عِلْمِ الطِّبِّ إلَيْها، ألا تَرَى

أَكْثَرَ العَالَمِ، يَعِيْشُوْنَ بغَيْرِ طَبِيْبٍ؟ ولا يَكُوْنُ الطَّبِيْـبُ إلاَّ في المُـدُنِ الجَامِعَـةِ، وأمَّا أَهْلُ البَدْوِ كُلُّهُم، وأَهْلُ الكَفُوْرِ (القَرْيَةِ الصَّغِيْرَةِ) كُلُّهُـم، وعَامَّـةُ بَنِـي آدَمَ، فَلا يَحْتَاجُوْنَ إلى طَبِيْبٍ، وهُمْ أَصَحُّ أَبْدَانًا وأَقْوَى طَبِيْعَةً مِمَّنْ هُـوَ مُتَقَيِّـدٌ بالطَّبِيْبِ، ولَعَلَّ أعْمَارَهُم مُتَقَارِبَةٌ ... إلخ .

وأَمَّا مَا يُقَدَّرُ عِنْدَ عَدَمِ الشَّرِيْعَةِ ففَسَادُ الرُّوْحِ والقَلْبِ جُمْلَةً، وهَـلاكُ الأَبَدِ، وشَتَّانَ بَيْنَ هَذَا وهَلاكِ البَـدَنِ بـالموتِ : فَلَـيْسَ النَّـاسُ قَـطُّ إلى شَيءٍ أَحْوَجَ مِنْهُم إلى مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُوْلُ ﷺ، والقِيَـامِ بِـه، والـدَّعْوَةِ إلَيْـه، والصَّبْرِ عَلَيْه، وجِهَادِ مَنْ خَرَجَ عَنْه حَتَّى يَرْجِعَ إلَيْهِ، ولَـيْسَ للعَـالَمِ صَـلاحٌ بِدُوْنَ ذَلِكَ البَتَّةَ» انْتَهى .

***

وهَذَا الذَّهَبِيُّ رَحِمَه اللهُ أَيْـضًا نَجِـدُه يُعِيْـبُ عِلْـمَ النَّحْـوِ الَّـذِي هُـوَ أَفْضَلُ وأَكْمَلُ مِنْ عُلُوْمِ (القَوْمِ!) لاسِيَّمَا إذَا خَرَجَ عَنْ حَدِّه المَقْصُوْدِ، وذَلِكَ بِقَوْلِه في كِتَابِهِ «زَغَـلِ العِلْـمِ» (٣٩) : «النَّحْوِيُّـوْنَ لا بَـأْسَ بِهِـم، وعِلْمُهُـم حَسَنٌ مُحْتَاجٌ إلَيْـه، لَكِـنَّ النَّحْـوِيَّ إذا أَمْعَـنَ في العَرَبِيَّـةِ، وعَـرِيَ عَـنْ عِلْـمِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ بَقِيَ فَارِغًا بَطَّالاً لَعَّابًا، ولا يَسْأَلُه اللهُ والحَالَةُ هَذِه عَنْ عِلْمِـه في الآخِرَةِ؛ بَلْ هُوَ كَصِنْعَةٍ مِنَ الـصَّنَائِعِ : كالطِّـبِّ والحِـسَابِ، والهَنْدَسَـةِ لا

يُثَابُ عَلَيْها، ولا يُعَاقَبُ إذَا لَمْ يَتكَبَّرْ عَلَى النَّاسِ، ولا يتَحَامَقْ عَلَيْهم، واتَّقَى اللهَ تَعَالَى، وتَوَاضَعْ وَصَانَ نَفْسَهُ» انْتَهى .

***

فعَلَيْكَ أخِي طَالِبَ العِلْمِ بِما قَالَه ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ في «بَيَانِ فَضْلِ عِلْمِ السَّلَفِ» (٦٨) : «وفي كَلامِهِم (السَّلَفِ) كِفَايَةٌ وزِيَادَةٌ، فَلا يُوْجَدُ في كَلامِ مَنْ بَعْدِهِم مِنْ حَقٍّ إلاَّ وهُوَ في كَلامِهِم مَوْجُوْدٌ بأوْجَزِ لَفْظٍ، وأخْصَرِ عِبَارَةٍ، ولا يُوْجَدُ في كَلامِ مَنْ بَعْدِهِم مِنْ بَاطِلٍ إلاَّ وفي كَلامِهِم مَا يُبَيِّنُ بُطْلانَه لِمَنْ فَهِمَهُ وتَأمَّلَهُ، ويُوْجَدُ في كَلامِهِم مِنَ المَعَاني البَدِيْعَةِ والمآخِذِ الدَّقِيْقَةِ مَا لا يَهْتَدِي إلَيْه مَنْ بَعْدَهُم ولا يَلِمُّ بِهِ، فَمَنْ لم يَأخُذْ العِلْمَ مِنْ كَلامِهِم فَاتَهُ ذَلِكَ الخَيْرُ كُلُّه مَعَ مَا يَقَعُ في كَثِيْرٍ مِنَ البَاطِلِ مُتَابَعَةً لِمَنْ تَأخَّرَ عَنْهُم» انْتَهى .

***

واعْلَمْ يا رَعَاكَ اللهُ، أنَّ العِلْمَ إذا أُطْلِقَ، فإنَّه لا يَصْدُقُ إلاَّ عَلَى العِلْمِ الشَّرْعِيِّ فَضْلاً وكَمالاً، أجْرًا ومَآلاً، عِزًّا وحَالاً ...!

ومَا سِوَاهُ مِنْ عُلُوْمِ الدُّنْيا؛ فَهِي عُلُوْمٌ مُقَيَّدَةٌ بِما تُضَافُ إلَيْه مِنْ : حِرَفٍ ومِهَنٍ وفِكْرٍ ... كعُلُوْمِ الطَّبِيْعَةِ، والفَلَكِ، والهَيْئَةِ، والحِسَابِ،

والـصِّنَاعَاتِ، والرِّيَاضِـيَّاتِ، والهَنْدَسَـةِ، والأحْيَـاءِ، و(الكِيْمِيَـاءِ)، و(الفيزِيَاءِ)، و(الجُغْرَافيا)، وعِلْمِ الأرْضِ (الجِيُوْلُوْجِيا)، وعِلْـمِ التِّجَـارَةِ، وعِلْمِ السِّيَاسَةِ، وكَذَا حِرَفِ النِّجَارَةِ، والفِلاحَةِ، والصِّنَاعَةِ، والحِيَاكَةِ إلخ .

***

فَعِنْدَ ذَلِكَ؛ كَانَ مِنَ الخَطأ البيِّنِ رَصْفُ تِلْكَ العَنَاوِيْنِ الرَّابِضَةِ فَـوْقَ بَعْضِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، والأطَارِيْحِ الجَامِعِيَّةِ كَقَوْلِهِم : العِلْمُ والإيْمَانُ، العِلْـمُ والإسْـلامُ، الإيْـمَانُ مِحْـرَابُ الطِّـبِّ، الـدِّيْنُ والعِلْـمُ التَّجْرِيْبِـيُّ، القُـرْآنُ والإعْجَازُ العِلْمِيُّ ... وغَيْرُها مِمَّا هُوَ مِنْ زَبَـدِ العُلُـوْمِ الدَّخِيْلَـةِ، والانْهِـزَامِ الجَاثِمِ عَلَى عُقُوْلِ وأقْلامِ كَثِيْرٍ مِنَ كُتَّابِ المُسْلِمِيْنَ هَذِه الأيَّامَ!

ومَا ذَاكَ الخَطَأُ الدَّارِجُ هُنَا وهُنَاكَ إلاَّ لِكَوْنِ القَوْمِ قَدْ ظَنُّوا بأنَّ العِلْمَ شَيْءٌ، والدِّيْنَ شَيْءٌ آخَرَ!

لِـذَا نَجِـدُهُم يُفَرِّقُـوْنَ بَـيْنَ الـدِّيْنِ والعِلْـمِ، ومَـا عَلِمُـوا أنَّ الـدِّيْنَ الإسْلامِيَّ هُوَ العِلْمُ، والعِلْمَ دِينٌ؛ فانْظُرُوا عَمَّنْ تَأخُذُوْنَ دِيْنَكُم!

فإنَّ حَالَ هَذِه العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ؛ بَلْ أكْثَرِ العُلُـوْمِ الـصَّحِيْحَةِ المُطَابِقَـةِ للعَقْلِ والتَّجْرُبَةِ؛ فإنَّه لا يَضُرُّ الجَهْلُ بِها شَيْئًا، كَمَا أنَّه لا يَنْفَعُ العِلْمُ بِها!

لِذَا؛ فلا يَهُوْلَنَّكَ يا طَالِبَ العِلْمِ مَا يَتَجَارَى بِهِ أَهْلُ زَمَانِنَا في تَسْوِيْقِ هَذِه العُلُوْمِ الدُّنْيَوِيَّةِ، مَعَ زُخْرُفٍ مِنَ الشَّارَاتِ والأَلْقَابِ في صُرُوْحِ الجَامِعَاتِ، ومَا يَقْذِفُه الإعْلامُ العَائِمُ فَوْقَ بَرَاكِيْنَ مِنَ الثَّقَافَاتِ الغَرْبِيَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ مُحَاكَاتٌ ومُشَابَهَةٌ لِمُخَلَّفَاتِ الاسْتِعْمَارِ (الدَّمَارِ) الغَرْبِيِّ!

***

ومَهْمَا قِيْلَ؛ فَلَنْ يَتَعَدَّ أَصْحَابُ هَذِه العُلُوْمِ الطَّبِيْعِيَّةِ وغَيْرِها (مِمَّا هِيَ مِنْ عُلُوْمِ الدُّنْيا) مَكَانَهُم مِنَ العِلْمِ؛ فَهُم لا يَعْلَمُوْنَ إلاَّ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا؛ بَلْ هَذَا مَبْلَغُهُم مِنَ العِلْمِ، كَمَا أَنَّها عُلُوْمٌ يَشْتَرِكُ فيها كُلُّ إِنْسَانٍ وجَانٍّ (المُؤْمِنُ مِنْهُم والكَافِرُ)!

ومَعَ هَذَا فَلَيْسَ لَهُم فيها مِنْ الأَجْرِ شَيْءٌ، اللَّهُمَّ إلاَّ إذا جَعَلُوا مِنْ هَذِه العُلُوْمِ والصِّنَاعَاتِ قُرُباتٍ، بَعْدَ اسْتِحْضَارِ قَصْدٍ ونِيَّاتٍ!

كَنِيَّةِ: التَّعَاوُنِ عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، كَمَا يَنْوِيْهِ النَّجَّارُ والفَلاحُ وغَيْرُهُما مِنْ أَهْلِ الحِرَفِ والمِهَنِ، و«**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[1] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١)، ومُسْلِمٌ (١٩٠٧).

ومَهْمَا يَكُنْ؛ فالأجْرُ والخَيْرُ : في العِلْـمِ الـشَّرْعِيِّ أصْـلٌ وغَايَـةٌ، وفي غَيْرِه مِنَ عُلُوْمِ الدُّنْيا طَارِئٌ ووَسَيْلَةٌ!

***

وأخِـيْرًا؛ فَإنَّنـا لا نَقُـوْلُ بطَـرْحِ العُلُـوْمِ الدِّنْيَوِيَّـةِ (الطَّبِيْعِيَّـةِ والتَّجْرِيْبِيَّةِ) جُمْلَةً وتَفْصِيْلاً؛ كَلاَّ!

بَلْ للتَّفْصِيْلِ اعْتِبَارٌ ومَأخَذُ، فالنَّاسُ حَوْلها طَرَفَانِ ووَسَـطٌ، كَـما يَلي :

الطَّرَفُ الأوَّلُ : مَـنْ أفْـرَطَ فِيْهَـا إفْرَاطًـا أخْرَجَهَـا مِـنْ حَـدِّهَا ومَنْزِلَتِهَا إلى التَّقْدِيْسِ والغُلُوِّ؛ فَرَفَعَهَا فَوْقَ غَيْرِها مِـنَ العُلُـوْمِ، لاسِـيَّما العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ، وأهْلُ هَذَا الطَّرَفِ فِيْهِمْ غُلُوٌّ وإسْرَافٌ مَذْمُوْمَانِ!

الطَّرَفُ الثَّاني : مَنْ عِنْدَهُ تَفْرِيْطٌ وتَقْصِيْرٌ فِيْهَا؛ حَتَّى قَطَعَ بَعْضُهُم بحُرْمَتِهَا، ومِنْهُم مَنْ صَرَّحَ بخُلُوِّهَا مِنَ الخَيْرِ والفَائِدَةِ رَأسًا، وأهْلُ هَـذَا الطَّرَفِ فِيْهِم تَفْرِيْطٌ وإجْحَافٌ مَذْمُوْمَانِ!

الوَسَطُ : مَنْ قَالَ بأنَّها عُلُوْمٌ مُبَاحَةٌ : فَمِنْهَا مَا هُوَ حَلالٌ مَقْبُـوْلٌ، ومِنْهَا مَا هُوَ حَـرَامٌ مَـرْدُوْدٌ، فَفِيْهَـا الخَـيْرُ والـشَّرُّ كَغَيْرِهَـا مِـنَ العُلُـوْمِ

الدِّنْيَوِيَّةِ، والنَّـاسُ إلى الخَـيْرِ مِنْهَـا في حَاجَـةٍ وطَلَـبٍ، لاسِـيَّما في عِـمارَةِ الأرْضِ، وصَلاحِ الدِّيْنِ والدُّنْيَا، فَهِي مِنْ بَـابِ الوَسَـائِلِ، و«للوَسَـائِلِ أحْكَامُ المَقَاصِدِ».

وهُمْ مَعَ هَذَا لا يُخْرِجُوْنَها عَنْ حَدِّهَا وحَجْمِهَا، فَلا يَذْهَبُوْنَ بِهـا إلى الغُلُوِّ ولا إلى التَّفْرِيْطِ، كَـما أنَّهـم لا يُـسَامُوْنَ بِهـا العُلُـوْمَ الـشَّرْعِيَّةَ؛ فَضْلاً عَنْ أفْضَلِيَّتِها، فَلَهَا قَدْرُهَا وتَقْدِيْرُهَا، واللهُ أعْلَمُ.

***

وقـد اشْـتَرَطَ الإمَـامُ الـشَّوكَانيُّ رَحِمَـهُ الله (١٣٥٠) لـتَعَلُّمِ العُلُـوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ شَرْطًا عَزِيْزًا، في كِتَابِه «أدبِ الطَّلَبِ» (١٢٤) حَيْـثُ قَـالَ: «ثُـمَّ لا بَأسَ عَلى مَنْ رَسَخَ قَدَمُهُ في العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ أنْ يَأخُذَ بطَرَفٍ مِنْ فُنُـوْنٍ هِـي مِنْ أعْظَـمِ مَـا يَـصْقِلُ الأفْكَـارَ، ويُـصَفِّي القَـرَائِحَ، ويَزِيْـدُ القَلْـبَ سُرُوْرًا والنَّفْسَ انْشِرَاحًا: كالعِلْمِ الرِّيَاضِيِّ والطَّبِيْعِيِّ، والهَنْدَسَةِ والهَيْئَةِ والطِّبِّ.

وبالجُمْلَةِ فالعِلْمُ بِكُلِّ فَنٍّ خَيْرٌ مِنَ الجَهْلِ بِه بكَثِيْرٍ ولا سِيَّما مَنْ رَشَّحَ نَفْسَهُ للطَّبَقَةِ العَلِيَّةِ والمَنْزِلَةِ الرَّفِيْعَةِ.

ودَعْ عَنْكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنَ التَّشْنِيْعَاتِ، فإنَّها كَما قَدَّمْنَا لَكَ شُـعْبَةٌ مِـنَ التَّقْلِيْدِ، وأنْتَ بَعْدَ العِلْمِ بأيِّ عِلْمٍ مِنَ العُلُوْمِ: حَاكِمٌ عَلَيْهِ بِما قَدْ يَكُوْنُ

لَدِيْكَ مِنَ العِلْمِ، غَيْرَ مَحكُوْمٍ عَلَيْكَ، واخْتَرْ لنَفْسِكَ مَا يَحلُو!

ولَيْسَ يُخْشَى عَلى مَنْ قَدْ ثَبَتَ قَدَمُهُ في عِلْمِ الشَّرْعِ مِنْ شَيءٍ، وإنَّما يُخْشَى عَلى مَنْ كَانَ غَيْرَ ثَابِتِ القَدَمِ في عُلُوْمِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فإنَّهُ رُبَّما يَتَزَلْزَلُ وتَحُوْلُ ثِقَتُهُ؛ فإذَا قَدَّمْتَ العِلْمَ بِما قَدَّمْنَا لَكَ مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ فاشْتَغِلْ بِما شِئْتَ، واسْتَكْثِرْ مِنَ الفُنُوْنِ مَا أرَدْتَ وتَبَحَّرْ في الدَّقَائِقِ مَا اسْتَطَعْتَ، وجَاوِبْ مَنْ خَالَفَكَ وعَذَلَكَ وشَنَّعَ عَلَيْكَ، بقَوْلِ القَائِلِ :

أتَانَا أنَّ سَهْلاً ذَمَّ جَهْلاً ... عُلُوْمًا لَيْسَ يَعْرِفُهُنَّ سَهْلُ

عُلُوْمًا لَوْ دَرَاهَا مَا تَلاهَا ... ولكِنَّ الرِّضَى بالجَهْلِ سَهْلُ

إلى آخِرِ كَلامِهِ» .

قُلْتُ : إنَّ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ الإمَامُ الشَّوكَانيُّ فِيْهِ نَظَرٌ بَيِّنٌ؛ حَيْثُ اشْتَرَطَ لتَعَلُّمِ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ شُرُوْطًا لَيْسَتْ في كِتَابٍ ولا سُنَّةٍ، بَلِ الوَاقِعُ يَشْهَدُ بخِلافِ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّهُ رَحِمَهُ الله مِمَّنْ يُشَنِّعُ عَلى التَّقْلِيْدِ وأهْلِهِ، ويُحَذِّرُ مِنْهُ مَا أمْكَنَ إلَيْهِ سَبِيْلاً!

فَقَوْلُهُ رَحِمَهُ الله : ثُمَّ لا بَأسَ عَلى مَنْ رَسَخَ قَدَمُهُ في العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ أنْ يَأخُذَ بطَرَفٍ مِنَ العِلْمِ الرِّيَاضِيِّ والطَّبِيْعِيِّ، والهَنْدَسَةِ والهَيْئَةِ والطِّبِّ .

ولَيْسَ يُخْشَى عَلى مَنْ قَدْ ثَبَتَ قَدَمُهُ في عِلْمِ الشَّرْعِ مِنْ شَيءٍ، وإنَّما يُخْشَى عَلى مَنْ كَانَ غَيْرَ ثَابِتِ القَدَمِ في عُلُوْمِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فإنَّهُ رُبَّما يَتزَلْزَلُ وتَحُوْلُ ثِقَتُهُ .. إلَخْ!

كُلُّ هَذَا مِنْهُ رَحِمَهُ الله مُنْتَقَدٌ وبَعِيْدٌ، لأمُوْرٍ :

أوَّلاً : لَيْسَ هُنَاكَ دَلِيْلاً شَرْعِيًّا عَلى اشْتِرَاطِ مَنْ رَامَ تَعَلُّمَ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ أنْ يَكُوْنَ رَاسِخًا في العِلْمِ الشَّرْعِيِّ؟

هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ العُلُوْمَ الدِّنْيَوِيَّةَ مِنَ العُلُوْمِ المُبَاحَةِ، والحَالَةُ هَذِه فَهِيَ لا تَحْتَاجُ إلى رُسُوْخٍ في العِلْمِ، بَلْ هِي مِنْ شَأنِ عَامَّةِ النَّاسِ في حَيَاتِهِم الدِّنْيَوِيَّةِ، بَلْ هُنَالِكَ مِنْ آحَادِ العَامَّةِ مَنْ يُحْسِنُ مِنَ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ مَا لا يُحْسِنُهُ كَثِيْرٌ مِنَ العُلَماءِ!

ثَانِيًا : لو أنَّنا لَوْ أخَذْنَا بِما اشْتَرَطَهُ الشَّوكَانيُّ رَحِمَهُ الله لتَعَطَّلَتْ كَثِيْرٌ مِنْ مَصَالِحِ الدُّنْيَا، وعِمارَةِ الأرْضِ!

ثَالِثًا : لَيْسَ بالضَّرُوْرِي أنَّ كُلَّ مَنْ تَعَلَّمَ العُلُوْمَ الدِّنْيَوِيَّةَ أنْ يَزِلَّ، أو تَتَحَوَّلَ ثِقَتُهُ، لأنَّ دَلِيْلَ الشَّاهِدِ والحَالِ قَاضٍ بهَذَا!

***

إلاَّ أنَّنا مَعَ هَذَا؛ نُحَذِّرُ كَلَّ الحَذَرِ مِنَ النَّظَرِ إلى هَذِه العُلُوْمِ الدُّنْيَوِيَّةِ بعَيْنِ الإفْرَاطِ والانْبِهَارِ، أو الانْصَرَافِ بِها عَنْ تعَلُّمِ وَاجِبَاتِ الأحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا لا يُعْذَرُ المُسْلِمُ بجَهْلِهَا، وإلاَّ وَقَعْنَا فِيْما حَذَّرَ مِنْهُ الشَّوكَانيُّ رَحِمَهُ الله، وهُوَ كَذَلِكَ!

***

ومِنْ آخِرِ نَحِسَاتِ أدْعِيَاءِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ هَذِه الأيَّام، أنَّ نَابِتَةً مِنْهُم لَمْ تَزَلْ تَنْفُخُ في رَوْعِ شَبَابِ المُسْلِمِيْنَ بَعْضَ العُلُوْمِ التَّجْرِيْبِيَّةِ، الوَافِدَةِ مِنْ مُسْتَنْقَعَاتِ الفِكْرِ الغَرْبِي (الكَافِرِ)، ضَارِبِيْنَ بِعُلُوْمِ وكُتُبِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عُرْضَ الحَائِطِ، مُزَاحِمِيْنَ مَا كَانَ عَلَيه المُسْلِمُوْنَ مِنْ الأمْرِ الأوَّلِ : إنَّها العُلُوْمُ الإدَارِيَّةُ، والنَّفْسِيَّةُ (البَرْمجَةُ العَصَبِيَّةُ اللُّغَوِيَّةُ)، وغَيْرُها!

***

فَلَيْتَ شِعْرِي؛ هَلْ نَسِيَ هُؤلاءِ (المُنْهَزِمُوْنَ) أنَّ الأمَّةَ الإسْلامِيَّةَ هَذِه الأيَّامَ في حَالٍ لا يُنَادَى وَلِيْدُها؟ مِنْ جَهْلٍ بِدِيْنِهِم، وتَفَرُّقٍ بَيْنَهُم، وضَعْفٍ لَدَيْهِم...؟! فإنْ كَانُوا عَلَى عِلْمٍ بِهَذا؛ فلِمَاذا هَذِه العُلُوْمُ الدَّخِيْلَةُ الَّتِي تُرَوَّجُ وتُسَوَّقُ بَيْنَ شَبَابِ المُسْلِمِيْنَ؛ حتَّى أخَذَتْ (للأسَفِ!) أخَادِيْدَ في قُلُوْبِ بَعْضِ طُلابِ العِلْمِ؟!

قَالَ تَعَالى : ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة٦١]، وقَالَ تَعَالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف١٠٣-١٠٤] .

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بنِ مَسْعُوْدٍ رَضِي اللهُ عَنْه : «كَيْفَ أَنْتُم إذا لَبِسَتْكُم فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فيها الكَبِيْرُ، ويَرْبُو فيها الصَّغِيْرُ، ويَتَّخِذُها النَّاسُ سُنَّةً، فإذا غُيِّرَتْ قَالُوا : غُيِّرَتِ السُّنَّةُ!

قَالُوا : ومَتَى ذَلِكَ يا أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ : إذا كَثُرَتْ قُرَّاؤكُم، وقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُم، وكَثُرَتْ أمَرَاؤُكُم، وقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُم، والْتُمِسَتِ الدُّنْيا بعَمَلِ الآخِرَةِ»[1] الدَّارِميُّ والحَاكِمُ .

* * *

فإنِّي أُعِيْذُكَ باللهِ يا مَنْ تَسْعَى في نَشْرِ هَذِه العُلُوْمِ الدَّخِيْلَةِ الهَجِيْنَةِ في بِلادِ المُسْلِمِيْنَ، مِمَّا يَلِي :

أوَّلاً ـ أنْ يَنَالَكَ نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِه ﷺ : «... ومَنْ سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً،

---

(١) أخْرَجَهُ الدَّارِميُّ في «مُسْنَدِه» (١٩١)، والحَاكِمُ في «المُسْتَدْرَكِ» (٤/ ٥١٤)، وهُوَ صَحِيْحٌ .

فَعَلَيْه وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ يَعْمَلُ بِها مِنْ غَيْرِ أنْ يَنْقُصَ مِـنْ أوْزَارِهِـم شَـيْئًا»[١] مُسْلِمٌ .

وبَعْدَئِذٍ؛ فَلا تَنْسَ يَا رَعَاكَ اللهُ! مَا فَعَلَه المَأمُوْنُ يَوْمَ عُرِّبَتْ في عَهْـدِه عُلُوْمُ اليُوْنانِ، والفَلاسِـفَةِ مِـنَ اليَهُـوْدِ والنَّـصَارَى والهِنْـدِ : مِثْـلُ الطِّـبِّ، والحِسَابِ، والطَّبِيْعَةِ، والهَيْئَةِ، والمَنْطِقِ ... فَلَمَّا دَرَسَها النَّاسُ، وتَنَاقَلُوْها فـيمَا بَيْنَهُم؛ ظَهَرَتْ بِـسَبَبِها البِـدَعُ والأهْـوَاءُ، وضَـلَّ وابْتَعَـدَ النَّـاسُ عَـنْ عِلْـمِ النُّبُـوَّةِ ... فعِنْـدَها كَـانَ الـضَّلالُ والانْحِـرَافُ، والـشَّرُّ الكَبِـيْرُ، والفَـسَادُ العَرِيْضُ!

***

لأجْلِ هَذا؛ كَانَ عَلَيْكَ أنْ تَقِفَ بِخَوْفِكَ عِنْدَ هَذَا العِلْمِ، لاسِـيَّما إذَا عَلِمْتَ أنَّ الَّـذِيْنَ ضَـلُّوا وأضَـلُّوا بِهَـذِه العُلُـوْمِ الوَافِـدَةِ وَقْتَئِـذٍ : هُـمُ مِـنَ العُلَمَاءِ!، فَكَيْفَ والحَالَةُ هَذِه إذا عَلِمَ الجَمِيْعُ أنَّ مُعْظَمَ الَّذِيْنَ يَتَجَارَوْنَ وَرَاء هَذِه العُلُـوْمِ النَّكِـدَةِ، ويَتَقَـاطَرُوْنَ عَـلَى دَوْرَاتِهـا : هُـمُ الـشَّبَابُ مِـنْ أبْنَـاءِ المُسْلِمِيْنَ؛ فاللهَ اللهَ فيهم!

---

(١) أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠١٧) .

ثانيًا ـ لا يَخْفَاكَ يَا رَعَاكَ اللهُ؛ أنَّ الأُمَّةَ بعَامَّةٍ تَعِيْشُ هَذِه الأيَّامَ جَهْلاً بدِيْنِها، لِذَا كَانَ الأوْلَى بِنا أنْ نَسْعَى حَثِيْثًا في عَوْدَةِ الأُمَّةِ إلى دِيْنِها أوَّلاً، ثُمَّ إذا كَانَ في الأمْرِ مُتَّسَعٌ فَعِنْدَئِذٍ يَكُوْنُ للكَلامِ في مِثْلِ هَذِه العُلُوْمِ الوَافِدَةِ شَيْءٌ مِنَ البَسْطِ والتَّحْرِيْرِ!

فَكُلُّ يَدٍّ مُدَّتْ إلَى هَذِه العُلُوْمِ الوَافِدَةِ لِتَنْبُشَها بَعْدَ أنْ أُقْبِرَتْ، وأصْبَحَتْ عِظَامًا نَخِرَةً، فَلَيْسَ لَهَا أنْ تُرَوِّجَها بَيْنَ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ، ظَنًّا مِنْها أنَّ الأسْمَاعَ في صَمَمٍ، وأنَّ العُيُوْنَ في سُبَاتٍ، وأنَّ الأقْلامَ والأنَامِلَ لا تَجْتَمِعَانِ[1]؟!

* * *

ثَالِثًا ـ ألَمْ يَأْنِ لَنا أنْ تَخْشَعَ قُلُوْبُنا لِمَا يَذْكُرُه أهْلُ هَذِه العُلُوْمِ التَّجْرِيْبِيَّةِ مِنَ الغَرْبِ والشَّرْقِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ؟ فَلَمْ يَزَلْ عُقَلاؤُهُم حَتَّى سَاعَتِي هَذِه وهُم يَصِيْحُونَ بِخُطُوْرَةِ هَذِه العُلُوْمِ في غَيْرِ نَدْوَةٍ، أو لِقَاءٍ، أو دَوْرَةٍ تَدْرِيْبِيَّةٍ!

* * *

---

(١) هُنَاكَ كَثِيْرٌ مِنَ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ الرَّادَةِ عَلَى «البَرْمَجَةِ اللُّغَوِيَّةِ العَصَبِيَّةِ»، فَمِنْها: «البَرْمَجَةُ اللُّغَوِيَّةُ العَصَبِيَّةُ» في طَبْعَتِه الثَّانِيَةِ للأخِ أحْمَدَ الزَّهْرَانِيِّ، وهُو مِنْ أنْفَسِها وأجْوَدِها، وكَذَا «الفِكْرُ العَقَدِيُّ الوَافِدُ ومَنْهَجِيَّةُ التَّعَامُلِ مَعَه» للأخْتِ فُوْزَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّطِيْفِ كُرْدِيٍّ، وهُو عِبَارَةٌ عَنْ مُذَكِّرَةٍ، كما أنَّه بَحْثٌ نَفِيسٌ جَيِّدٌ في بَابِه .

* أمَّا العَائِقُ الرَّابِعُ : فَهُوَ التَّخَصُّصُ (الجَامِعِيُّ!) .

ومَا أدْرَاكَ مَا هُوَ؟ إنَّه مِنَ التَّشَبُّهِ المَقِيْتِ والمَوْرُوْثِ العِلْمِيِّ الوَافِدِ، يَوْمَ قَضَتِ الأقْضِيَةُ في زَمَانِنا؛ بنُبُوْغِ نَوابِتَ في صُفُوْفِ أهْلِ العِلْمِ قَدْ ألْبَسُوْهُم ثِيَابَ التَّخَصُّصِ، وتَوَّجُوْهُم ألْقَابًا وشَارَاتٍ مُهَلِّلَةً؛ فانْتَفَخُوا في العِلْمِ وهُم خَوَاءٌ، ونَابَذُوا التَّعَالُمَ وهُم سَوَاءٌ، يَوْمَ قَصُرَتْ هِمَمُهُم وبَلَغَتْ عُلُوْمُهُم مِنَ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ جَوَانِبَ ونُتَفًا عِلْمِيَّةً، حَامِلِيْنَ في شَهَادَاتِهِمُ الجَامِعِيَّةِ تَجْزِئَةً وتَقْطِيْعًا لعُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ، وتَغْيِيْبًا لطَائِفَةٍ مِنْها عَنْ أحْكَامِ فِقْهِ الوَاقِعِ، وقَضَايَا الأمَّةِ المَصِيْرِيَّةِ؛ فَلا عِلْمَ بَلَغُوْه، ولا عَمَلَ نَالُوْه، ولا وَاقِعَ فَهِمُوْه!

وإمَّا يَنْزِغَنَّكَ يا طَالِبَ العِلْمِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الوَافِدِ الغَرْبِيِّ، فاسْتَعِذْ باللهِ السَّمِيْعِ العَلِيْمِ مِنْه، ولا تَطْرُقَنَّ لَه بَابًا فإنَّه مِنْ أبْوَابِ الجُمُوْدِ العِلْمِيِّ!

حَيْثُ جَاءَ بتَدَسُّسٍ إلى أمَّتِي بثِيَابِ التَّشْوِيْه العِلْمِيِّ ليَلْتَبِطَ بِخُطَاهُ في مَسَارِحِ الجَامِعَاتِ الإسْلامِيَّةِ؛ ليُفْسِدَ حَرْثَ مَا بَقِيَ مِنَ العِلْمِ الشَّامِلِ، ويَهْلِكَ نَسْلَ مَا بَقِيَ مِنَ العَمَلِ الكَامِلِ .

* * *

واعْلَـمْ يَـا رَعَـاكَ اللهُ أنَّ التَّخَـصُّصَ العِلْمِـيَّ (الجَـامِعِيَّ) قِـسْمَانِ : مَحْمُوْدٌ، ومَذْمُوْمٌ .

* **فأمَّا التَّخصُّصُ المَحْمُوْدُ** : فَهُو مَنْ جَمَعَ صَاحِبُه بَيْنَ القَـدْرِ الوَاجِـبِ مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ (الغَائِي مِنْها والآلِي)[1]، وبَيْنَ التَّوَسُّعِ والتَّفَـنُّنِ في عِلْـمٍ مَّا .

وهَذَا؛ هُوَ الَّذي أُتِيَ صَاحِبُه مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ نَصِيْبٌ وَافِرٌ تَبْرَأ بِـه الذِّمَّةُ ويَسْقُطُ بِه الطَّلَبُ، مَعَ تَخَصُّصٍ وتَفَنُّنٍ في أحَدِ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ .

فَتَرَاهُ إذا كَانَ فَقِيْهًا (مَثَلاً) : قَدْ أخَذَ مِنْ عُلُوْمِ الغَايَةِ والآلَـةِ : القَـدْرَ الوَاجِبَ الَّذِي يُسَاعِدُه عَلَى فَهْمِ دِيْنِه بعَامَّةٍ، وبالفِقْهِ بِخَاصَّةٍ، إلاَّ أنَّه مَعَ هَذَا قَدْ اجْتَهَدَ في فَنِّ الفِقْهِ، وبَرَّزَ فيه؛ حَتَّى عُرِفَ بِهِ ولُقِّبَ باسْمِه .

.... فَقِسْ عَلَى قَوْلِي تَكُنْ عَلامةً!

فعِنْـدَهَا؛ كَـانَ التَّحْـصِيْلُ العِلْمِـيُّ عِنْـدَ الـسَّلَفِ يَأخُـذُ بعُلُـوْمِ الشَّرِيْعَةِ جُمْلَةً وتَفْصِيْلاً، مَعَ تَفَاضُـلٍ ونُبُـوْغٍ في فَـنٍّ دُوْنَ آخَـرَ، فَهُـمْ لا

---

(١) عُلُوْمُ الغَايَةِ مِثْلُ : العَقِيْدَةِ، والحَدِيْثِ، والفِقْهِ، والتَّفْسِيْرِ . وعُلُـوْمُ الآلَـةِ مِثْـلُ : النَّحْوِ، واللُّغَةِ، وأُصُوْلِ الفِقْهِ، ومُصْطَلَحِ الحَدِيْثِ، والمَنْطِقِ ... إلخ .

يَقْبَلُوْنَ في مَعَالِمَ وقَوَاعِدَ وأسُسِ عُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ نَصْيْبًا دَانِيًا، ولا تَفَاضُلاً شَائِنًا، بَلْ تَرَاهُمْ قَدْ أخَذُوا مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ القَدْرَ الوَاجِبَ (الغَائِي مِنْها والآلِي)، مَعَ تَوَسُّعٍ في بَعْضِها، أو كُلِّها لاسِيَّما المُجْتَهِدونَ مِنْهُم .

ومِنْه تَعْلَمُ قَوْلَ المُتَقَدِّمِيْنَ : فُلانٌ أُصُوْلِيٌّ، فَقِيْهٌ، نَحْوِيٌّ، لُغَوِيٌّ، مُفَسِّرٌ، مُحَدِّثٌ، قَارِئٌ، مُشَارِكٌ[1] ... إلَخْ.

***

* وأمَّا التَّخَصُّصُ المَذْمُوْمُ : فَهُوَ مَنْ لَمْ يَجْمَعْ صَاحِبُه بَيْنَ مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا، اللَّهُمَّ إنَّه تَوَسَّعَ وتَفَنَّنَ في عِلْمٍ مَّا (الغَائِي مِنْها أو الآلِي)، دُوْنَ غَيْرِه مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ .

فَتَرَاهُ إذا كَانَ فَقِيْهًا (مَثَلاً) : لَمْ يَأْخُذْ مِنْ عُلُوْمِ الآلَةِ، وعُلُوْمِ الغَايَةِ : القَدْرَ الوَاجِبَ الَّذِي يُسَاعِدُه عَلَى فَهْمِ دِيْنِه بِعَامَّةٍ، وبالفِقْهِ بِخَاصَّةٍ؛ بَلْ غَايَةُ مَا عِنْدَه أنَّه يُحْسِنُ مَسَائِلَ الفِقْهِ!

---

(١) أيْ : أنَّه قَدْ أخَذَ مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ الحَدَّ الأدْنَى مِمَّا يَسْقُطُ به وَاجِبُ العِلْمِ؛ بحَيْثُ أصْبَحَ عِنْدَه شُمُوْلِيَّةٌ في العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ، ومَعَ هَذا تَجِدُه قَدْ بَرَّزَ وظَهَرَ واشْتَهَرَ في فَنٍّ أو أكْثَرَ، فَعِنْدَئِذٍ يُلَقَّبُ عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ بأشْهَرِها مِنْ فُنُوْنِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ : كالفَقِيْهِ، أو الأُصُوْلِي، أو النَّحْوِي، أو المفَسِّرِ، أو المُحَدِّثِ، وهَكَذَا .

ومِنه تَعْلَمُ قَوْلَ المُتَأخِّرِيْنَ : فُـلانٌ أُصُـوْلِيٌّ، فَقِيْـهٌ، مُحَـدِّثٌ، نَحْـوِيٌّ، مُفَسِّرٌ، قَارِئٌ، دَعَوِيٌّ، وَاعِظٌ ... إلـخ، فَعِنْـدَ ذَلِـكَ كَـانَ كَلامِـي هُنَـا عَـنْ أصْحَابِ هَذَا التَّخَصُّصِ، فكُنْ عَلَى ذُكْرٍ!

* * *

ومِنْ بَعْدُ؛ فإنَّ أصْحَابَ التَّخَصُّصِ العِلْمِيِّ (المَذْمُوْمِ) لَمْ يَنْفَكُّوا عَـنْ أخْطَاءَ شَرْعِيَّةٍ وآثَارٍ سَيِّئَةٍ؛ قَدْ دَفَعَتِ الأمَّةَ الإسْلامِيَّةَ (لاسِيَّما هَـذِه الأيَّـامَ) إلى مَفَاوِزَ مُهْلِكَةٍ، ومَزَالِقَ عِلْمِيَّةٍ، يَكْفي بَعْضُها لِمَسْخِ مَا بَقِيَ مِنْ تُرَاثِ أمَّتِنا الإسْلامِيَّةِ، فمِنْ ذَلِكَ :

أوَّلاً : أنَّ التَّخَصُّصَ العِلْمِيَّ الحَادِثَ بِقِسْمَيْهِ (الغَائِي والآلِي)، كَـما هُوَ جَارٍ في خِطَّةِ تَعْلِيْمِ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ الآنَ؛ قَدْ أخَذَ مُنْحىً خَطِيْرًا في تَقْطِيْـعِ أوَاصِرِ التَّرَابُطِ بَيْنَ عُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ، وتَقْسِيْمِها إلى أجْـزَاءَ عِلْمِيَّـةٍ ومُتَفَرِّقَـاتٍ مُتَنَاثِرَةٍ هُنَا وهُنَاكَ؛ لا يَجْمَعُها جَامِعٌ بَتَّةً؛ فَعِنْدَها كَانَ الأثَرُ السَّيِّئُ عَلَى الحَيَـاةِ العِلْمِيَّةِ والأحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لَدَى طُلابِ العِلْمِ هَذِه الأيَّامَ .

يُوَضِّحُهُ؛ أنَّه لَمَّا أزِفَتِ الآزِفَةُ، وأقْبَلَـتِ الفِـتَنُ في مَـسَارِبَ مُهْلِكَـةٍ، مُنْقَادَةً لتُعِيْدَها حَرْبًا صَلِيْبِيَّةً يَهُوْدِيَّةً عَلَى الإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ في بِلادِ فِلِسْطِيْنَ وأفْغَانِسْتَانَ والعِرَاقِ وغَيْرِها، وكَذَا مَا هُنَاكَ مِنْ هُجُوْمٍ سَـافِرٍ عَـلَى أخْـلاقِ

المُسْلِمِيْنَ، ومَنَاهِجِهِم الشَّرْعِيَّةِ، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَضَايا الأمَّـةِ العَـصْرِيَّةِ ...
ونَحْنُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ نَزَلْ نَرَى كَثِيْرًا مِنْ أرْبَـابِ التَّخَـصُّصِ يَعْتَـذِرُوْنَ عَـنْ تَخَاذُلِهِم وتَرَاجُعِهِم عَنْ عَدَمِ المُشَارَكَةِ في الـذَّبِّ عَـنْ قـضايا أمَّـتِهِم بِحُجَّـةِ النَّزْعَةِ البَائِسَةِ الَّتِي رَاجَتْ في سُوْقِ أهْلِ العِلْمِ باسْمِ : التَّخَصُّصِ العِلْمِيِّ!

يُوَضِّحُه : أنَّ الفَقِيْـه مِـنْهُم (مَـثَلاً) مِمَّـنْ لَـهُ مَجْمُوْعَـةٌ مِـنَ التَّـآلِيْفِ الفِقْهِيَّةِ، والتَّحْقِيْقَاتِ الجَامِعِيَّةِ الَّتِي نَالَتْ مَرْتَبَةَ الـشَّرَفِ ... مَـا زَالَ يَعْتَـذِرُ عَنِ المُشَارَكَةِ في قَضَايا أمَّتِه الإسْلامِيَّة : بأنَّ مَا يَدُوْرُ هُنَا لَيْسَ مِـنْ تَخَصُّـصِهِ، وهَذَا مَا نَجِدُه في الأعَمِّ الأغْلَبِ مِنْهُم!

هَذَا إذَا عَلِمْتَ (للأسَفِ) إنَّ أمْثَالَ هَذَا الفَقِيْهِ مِـنْ أهْـلِ زَمَانِنـا قَـدْ تَجَاوَزَتْ أعْدَادُهُم المِئَاتِ .

وقِسْ عَلَى هَـذَا : صَـاحِبَ العَقِيْـدَةِ، والتَّفْـسِيْرِ والحَـدِيْثِ، واللُّغَـةِ وغَيْرِهِم .

***

ومَهْمَا يَكُنْ ؛ فَلا تَعْجَبْ يَا طَالِبَ العِلْمِ إذَا عَلِمْتَ أنَّ القَوْمَ كَانُوا صَرْعَى التَّخَصُّصَاتِ العِلْمِيَّةِ، ونَتَاجَ الوَافِدِ الغَرْبِيِّ، واللهُ المُسْتَعَانُ عَـلَى مَـا يَصِفُوْنَ!

كَما كَانَ مِنْ آخِرِ سَوَالِبِ التَّخَصُّصِ الجَامِعِيِّ هَذِه الشَّارَاتُ والألْقَابُ (الجَامِعِيَّةُ!)(١)؛ الَّتِي دفَعَتْ طَائِفَةً مِنَ المُنْتَسِبِيْنَ إلى قَبِيْلِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ، مِمَّنْ تَشَاغَلُوا بِهَذِه الأسْمَاءِ، وانْسَاقُوا جَرْيًا وَرَاءها السِّنِيْنَ الخَوَالِيا، إلى دُخُوْلاتِ العَطَالَةِ المُغَلَّفَةِ باسْمِ : (الحَصَانَةِ الجَامِعِيَّةِ)، فَماذَا كَانَ؟!

وَيكْأَنَّ القَوْمَ؛ لَمْ يَنْصُرُوا حَقًّا، ولَمْ يَكْسِرُوْا بَاطِلاً : فَلا أمْرًا بِمَعْرُوْفٍ ولا نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، ولا جِهَادًا ولا اجْتِهَادًا؛ بَلْ رَأيْنا مِنْ بَعْضِهِم مَنْ كَانَ مُجِدًّا في الطَّلَبِ والطَّاعَةِ؛ حَتَّى إذا أوْحَى إلَيْه شَيَاطِيْنُ الإنْسِ والجِنِّ بأهَمِّيَةِ هَذِه الشَّارَاتِ والألْقَابِ ... إذا بِهِ يُصْبِحُ فَاتِرَ العَزِيْمَةِ، ذَابِلَ الطَّاعَةِ، قَلِيْلَ الاجْتِهَادِ والمُجَاهَدَةِ؛ أمَّا إذا سَألْتَ عَنْ الزهد وجَلَدِ الطَّاعَةِ، وهَيْبَةِ أهْلِ العِلْمِ ووَرَعِهِم : فَلا تَسْألْ؟ فتِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي، وقَلِيْلٌ مَا هُم!

وهَكَذَا حَتَّى أصْبَحَ أهْلُ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ في هَامِشِ الذَّاكِرَةِ الإعْلامِيَّةِ، وفي زَوَايا الجَامِعَاتِ العِلْمِيَّةِ، وذَلِكَ (للأسَفِ) باسْمِ : التَّخَصُّصِ الجَامِعِيِّ!

***

---

(١) كـ(الدَّكْتُوْرَاه)، و(الماجِسْتِيْر)، و(البَكَلَرْيُوس)، وغَيْرِها .

ثَانيًا : اعْلَمْ أنَّ فَهْمَ عُلُوْمِ الآلَةِ عَلَى قِسْمَيْنِ :

القِسْمُ الأوَّلُ : فَهْمٌ وَاجِبٌ، وهُوَ مَا يَسْقُطُ بِه الطَّلَبُ وتَبْرَأُ بِه الذِّمَّةُ، وهُوَ القَدْرُ الَّذِي يَشْتَرِكُ فيهِ عَامَّةُ أهْلِ العِلْمِ، وهَذَا القِسْمُ لا يَجُوْزُ لطَالِبِ العِلْمِ القُصُوْرُ فيه ... كما أنَّه سِلاحُ طُلابِ العِلْمِ في التَّعَامُلِ مَعَ كُتُبِ أهْلِ العِلْمِ الفِقْهِيَّةِ مِنْهَا والعَقِيْدَةِ والحَدِيْثِ والتَّفْسِيْرِ وغَيْرِها؛ فبِهَذا القَدْرِ مِنْها يَسْتَطِيْعُ مَعْرِفَةَ لُغَةِ واصْطِلاحِ القَوْمِ في فُنُوْنِهِم، ومَا زَادَ عَلَى هَذا الحَدِّ فَهُو فُضْلَةٌ لا يَحْتَاجُه إلاَّ مَنْ رَامَ مَرَاتِبَ الاجْتِهَادِ!

القِسْمُ الثَّاني : فَهْمٌ مُسْتَحَبٌّ، وهُو الإحَاطَةُ بَغَالِبِ عُلُوْمِ الآلَةِ المُخْتَصَرَاتِ مِنْها والمُطَوَّلاتِ؛ بِحَيْثُ لا يَتْرُكُ مِنْها شَارِدَةً ولا وَارِدَةً إلاَّ وَقَدْ أحَاطَ بِها في الجُمْلَةِ، وهَذا القِسْمُ في حَقِيْقَتِه هُوَ مِنْ مَسَالِكِ طُلابِ مَنَازِلِ الاجْتِهَادِ، مِمَّنْ عَلَتْ هِمَّتُهُم وتَاقَتْ نُفُوْسُهُم لِيَقِفُوا في مَصَافِ أئِمَّةِ الاجْتِهَادِ، كالأئِمَّةِ الأرْبَعَةِ وغَيْرِهِم .

***

يَقُوْلُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَه اللهُ فيمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ والكَلامِ عَنْه، مَا ذَكَرَهُ في كِتَابِهِ «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ٤٨٥) : «ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُوْلُ : إنَّ عُلُوْمَ

العَرَبِيَّةِ مِنَ التَّصْرِيْفِ، والنَّحْوِ، واللُّغَةِ، والمَعَانِي، والبَيَانِ، ونَحْوِهـا تَعَلُّمُهـا فَرْضُ كِفَايَةٍ لِتَوَقُّفِ فَهْمِ كَلامِ اللهِ ورَسُوْلِه عَلَيْها؟!

ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُوْلُ : تَعَلُّمُ أُصُوْلِ الفِقْهِ فَرْضُ كِفَايَةٍ؛ لأنَّـه العِلْـمُ الَّذِي يُعْرَفُ به الدَّلِيْلُ ومَرْتَبَتُه، وكَيْفيةُ الاسْتِدَلالِ؟!

ثُمَّ قَالَ رَحِمَه اللهُ : إنَّ الفَرْضَ الَّذِي يَعُمُّ وُجُوْبُه كُلَّ أحَدٍ : هُـوَ عِلْـمُ الإيْمانِ وشَرَائِعِ الإسْلامِ، فَهَذا هُوَ الوَاجِـبُ، وأمَّـا مَـا عَـدَاهُ فـإنْ تَوَقَّفَـتْ مَعْرِفَتُه عَلَيْه فَهُو مِنْ بَابِ مَا لا يَتِمُّ الوَاجِبُ إلاَّ بِـه، ويَكُـوْنُ الوَاجِـبُ مِنْـه القَدْرَ المُوْصِلَ إلَيْه دُوْنَ المَسَائِلِ الَّتِي هِـيَ فَـضْلَةٌ لا يَفْتَقِـرُ مَعْرِفَـةُ الخِطَـابِ وفَهْمُه إلَيْها .

فَلا يُطْلَقُ القَوْلُ بأنَّ عِلْمَ العَرَبِيَّةِ وَاجِـبٌ عَـلى الإطْـلاقِ؛ إذْ الكَثِـيْرُ مِنْه، ومِنْ مَسَائِلِه وبُحُوْثِه لا يَتَوَقَّفُ فَهْمُ كَـلامِ اللهِ ورَسُـوْلِه عَلَيْهـا، وكَـذا أُصُوْلُ الفِقْهِ؛ القَدْرُ الَّذِي يَتَوَقَّفُ فَهْمُ الخِطَابِ عَلَيْهِ مِنْه تَجِـبُ مَعْرِفَتُـه دُوْنَ المَسَائِلِ المُقَرَّرَةِ والأبْحَاثِ الَّتِي هِيَ فَضْلَةٌ؛ فَكَيْفَ يُقَالُ إنَّ تَعَلُّمَها وَاجِبٌ؟!

وبالجُمْلَةِ؛ فالمطْلُوْبُ الوَاجِبُ مِنَ العَبْدِ مِنَ العُلُوْمِ والأعْـمالِ مَـا إذا تَوَقَّفَ عَلى شَيءٍ مِنْهَا؛ كَانَ ذَلِكَ الشَّيءُ وَاجِبًا وُجُوْبَ الوَسَائِلِ، ومَعْلُوْمٌ أنَّ

ذَلِكَ التَّوَقُّفَ يَخْتَلِفُ باخْتِلافِ الأشْخَاصِ والأزْمَانِ والألْسِنَةِ والأذْهَانِ، فَلَيْسَ لِذَلِكَ حَدٌّ مُقَدَّرٌ، واللهُ أعْلَمُ» انْتَهَى .

ويَقُوْلُ الإمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَه اللهُ أيضًا في كِتَابِهِ «زَغَلِ العِلْمِ» (٤١) مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ والكَلامِ عَنْه : «أُصُوْلُ الفِقْهِ لا حَاجَةَ لَكَ بِه يَا مُقَلِّدُ، ويَا مَنْ يَزْعُمُ أنَّ الاجْتِهَادَ قَدْ انْقَطَعَ!

ومَا بَقِيَ مُجْتَهِدٌ ولا فَائِدَةَ في أُصُوْلِ الفِقْهِ، إلاَّ أنْ يَصِيْرَ مُحَصِّلُهُ مُجْتَهِدًا بِه، فإذَا عَرَفَه ولَمْ يَفُكَّ تَقْلِيْدَ إمَامِهِ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا؛ بَلْ أتْعَبَ نَفْسَه ورَكَّبَ عَلَى نَفْسِه الحُجَّةَ في مَسَائِلَ، وإنْ كَانَ يَقْرَأُ لِتَحْصِيْلِ الوَظَائِفِ ولِيُقَالَ، فَهَذَا مِنَ الوَبَالِ، وهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الخَبَالِ» انْتَهَى .

***

فانْظُرْ يَا رَعَاكَ اللهُ إلى قَوْلِه :«ومَا بَقِيَ مُجْتَهِدٌ ولا فَائِدَةَ في أُصُوْلِ الفِقْهِ، إلاَّ أنْ يَصِيْرَ مُحَصِّلُهُ مُجْتَهِدًا بِه»، لِتَعْلَمَ أنَّ كَثِيْرًا مِنْ أهْلِ التَّخَصُّصِ في أُصُوْلِ الفِقْهِ قَدْ غَالَوْا وكَابَرُوا هَذَا العِلْمَ، وهَمْ مَعَ هَذَا لا يَتَجَاوَزُنَ في قِرَاءاتِهِم كُتُبَ الفِقْهِ المُدَوَّنَةِ، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ الاجْتِهَادَ المُطْلَقَ في زَمَانِنَا مُنْدَثِرٌ بَيْنَ أهْلِه مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيْدٍ؛ فَلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ!

ومِنْ خِلالِ مَا مَضَى؛ نَسْتَطِيْعُ أنْ نَقِفَ عَلَى بَعْضِ الأخْطَاءِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ حَصِيْلَةَ المُتَخَصِّصِيْنَ في عُلُوْمِ الآلَةِ باخْتِصَارٍ :

١ـ أنَّ التَّخَصُّصَ والتَّفَنُّنَ في عُلُوْمِ الآلَةِ لا يَكُوْنُ إلاَّ لِمَنْ رَامَ دَرَجَةَ الاجْتِهَادِ، وإلاَّ وَقَعْنَا في حَيْصَ بَيْصَ، وهَذَا لا نَجِدُه عِنْدَ أهْلِ التَّخَصُّصِ مِنْ أهْلِ زَمَانِنا!

٢ـ أنَّ كَثِيْرًا مِنَ المُتَخَصِّصِيْنَ في أُصُوْلِ الفِقْهِ (مَثَلاً) مِنْ أهْلِ مِصْرِنا في هَذِه البِلادِ (حَفِظَها اللهُ مِنْ كُلِّ سُوْءٍ) نَرَاهُم لا يَقْرَؤُوْنَ مِنْ كُتُبِ الفِقْهِ غَالِبًا إلاَّ كُتُبَ الفِقْهِ الحَنْبَلِيَّةِ ابْتِدَاءً مِنْ «زَادِ المُسْتَقْنِعِ»، وانْتِهَاءً بـ«المُغْنِي»، ومَهْمَا اتَّسَعَتْ قِرَاءتُهُم لكُتُبِ الفِقْهِ الأُخْرَى، فإنَّهم أبْعَدُ مَا يَكُوْنُوْنَ عَنْ مَرَاتِبِ الاجْتِهَادِ .

***

وهَذَا في حَدِّ ذَاتِه يُعْتَبَرُ تَضْيِيْعًا للأوْقَاتِ، وتَبْدِيْدًا للطَّاقَةِ لَدَى طُلابِ التَّخَصُّصِ؛ حَيْثُ نَجِدُهُم يَسْتَكْثِرُوْنَ مِنْ قِرَاءةِ كُتُبِ «أُصُوْلِ الفِقْهِ» سَوَاءٌ عِنْدَ الأحْنَافِ، أو المَالِكِيَّةِ، أو الشَّافِعِيَّةِ، أو الحَنَابِلَةِ، ورُبَّما جَمَعُوْا بَيْنَها، كُلُّ هَذَا (للأسَفِ) عَلَى حِسَابِ الفِقْهِ الشَّرْعِيِّ العَامِّ، والخِلافِ العَالِي!

ثالثًا : إذَا عَلِمْنا أنَّ عُلُوْمَ الغَايَـةِ مِـنْ مَقَاصِـدِ الـشَّرِيْعَةِ، وأنَّ عُلُـوْمَ الآلَةِ مِنْ الوَسَائِلِ، والحَالَةُ هَذِه كَانَ مِنَ الخَطأ البَيِّنِ، والفَـسَادِ الوَاضِـحِ أنْ نُغَلِّبَ جَانِبَ الوَسَائِلِ عَلَى المَقَاصِدِ، وإلاَّ كنَّا مُغَالِيْنَ مُتكَلِّفينَ!

* * *

ومَا أحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ العَلامَةُ ابنُ خُلْدُونٍ رَحِمَهُ اللهُ في كِتَابِهِ «المُقَدِّمـةِ» (١/ ٦٢٢) : «وأمَّا العُلُـوْمُ الَّتِـي هِـيَ آلَـةٌ لِغَيْرِهـا : مِثْـلُ العَرَبِيَّـةِ والمَنْطِـقِ وأمْثَالِهِا؛ فَلا يَنْبَغِي أنْ يُنْظَرَ فيها إلاَّ مِنْ حَيْثُ هِي آلَةٌ لِذَلِكَ الغَيْرِ فَقَطُ، ولا يُوَسَّعُ فيها الكَلامُ، ولا تُفَرَّعُ المَسَائِلُ؛ لأنَّ ذَلِـكَ يُخْـرِجُ بهـا عَـنِ المَقْـصُوْدِ، فكُلَّمَا خَرَجَتْ عَنِ المَقْصُوْدِ، صَارَ الاشْتِغَالُ بِهَـا لَغْـوًا، ورُبَّـمَا يَكُـوْنُ ذَلِـكَ عَائِقًا عَنْ تَحْصِيْلِ العُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذَّاتِ لِطُـوْلِ وَسَـائِلِها؛ مَـعَ أنَّ شَـأنَهَا أهَمُّ، والعُمُرُ يَقْصُرُ عَنْ تَحْصِيْلِ الجَمِيْعِ عَلَى هَذِه الصُّوْرَةِ، فَيَكُوْنُ الاشْـتِغَالُ بِهَذِه العُلُوْمِ الآلِيَّةِ تَضْيِيْعًا للعُمُرِ وشُغُلاً بِمَا لا يُغْنِي!

وهَذَا كَمَا فَعَلَهُ المُتَأخِّرُوْنَ في صِنَاعَةِ النَّحْوِ، وصِنَاعَةِ المَنْطِـقِ، لا بَـلْ وأُصُوْلِ الفِقْهِ؛ لأنَّهُم أوْسَعُوا دَائِرَةَ الكَلامِ فيها نَقْـلاً واسْـتِدْلالاً، وأكْثَـرُوا مِنَ التَّفَارِيْعِ والمَسَائِلِ بِمَا أخْرَجَها عَـنْ كَوْنِهـا آلَـةً، ورُبَّـما ذَكَـرُوا مَـسَائِلَ لا حَاجَةَ بِها في العُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذَّاتِ، فإذَا قَطَعُوا العُمُرَ في تَحْصِيْلِ الوَسَائِلِ

فَمَتى يَظْفَرُوْنَ بالمَقاصِدِ؟ فلِهَذا يَجِبُ عَلَى المُعَلِّمِيْنَ لِهَذِه العُلُـوْمِ الآلِيَّـةِ أنْ لا يَسْتَبْحِرُوا في شَأنِهَا، ولا يَسْتَكْثِرُوا مِنْ مَسَائِلِها، ويُنَبِّهُ المُتَعَلِّمَ عَـلَى الغَـرَضِ مِنْها» انْتَهى بتَصَرُّفٍ واخْتِصَارٍ.

* * *

رَابعًا : أنَّ العُلاقَةَ بَيْنَ عُلُوْمِ الغَايَةِ والآلَةِ عُلاقَةٌ طَرْدِيَّةٌ، لاسِـيَّما مِـنْ جِهَةِ الوَسَائِلِ، فعِنْدَئِذٍ كُلَّما ازْدَادَ طَالِبُ العِلْمِ مِنْ عُلُوْمِ الآلَةِ، كَانَ عَلَيْـه أنْ يَزْدَادَ مِنْ عُلُوْمِ الغَايَةِ ضَرُوْرَةً، وإلاَّ كَانَ هَذَا تَنَاقُضًا بَيِّنًا، وخَلَلاً وَاضِحًا في الطَّلَبِ والقَصْدِ.

ومِنْـه نَعْـرِفُ حِيْنَئِـذٍ : الحِنْـثَ العَظِـيْمَ الَّـذِي لَمْ يَـزَلْ يَتَنَاقَلُـهُ أهْـلُ التَّخَصُّصِ العِلْمِيِّ هَذِه الأيَّامِ، يَوْمَ نَرَاهُم لا يَتَقَيَّدُوْنَ بِهَذِه القَاعِدَةِ الطَّرْدِيَّـةِ بَيْنَ عُلُوْمِ الغَايَةِ والآلَةِ، فَتَجِدُ أحَدَهُم قَدْ طَالَ بِهِ العُمُرُ في تَحْصِيْلِ : أُصُـوْلِ الفِقْهِ (مَثَلاً) وهُوَ لا يُحْسِنُ مِنَ الفِقْهِ إلاَّ مَا يُحْسِنُه طُلابُ العِلْمِ المُبْتَـدِئِيْنَ، أو مُقَلِّدُو المَذْهَبِ.

وهَذَا الصَّنِيْعُ مِنْهُم مِمَّا يَزِيْدُنا يَقِيْنًا بأنَّ التَّخَصُّصَ العِلْمِيَّ : زَغَـلٌ في العِلْمِ، ودَسِيْسَةٌ في الطَّلَبِ، واللهُ المُوَفِّقُ والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ!

* * *

وآخَرُوْنَ مِنْ وَرَائِهِم قَدْ تَخَصَّصُوا في التَّخَـصُّصِ (؟!)، حَيْـثُ تَجِـدُ بعْضَهَم قَدْ تَخَصَّصَ في عُلُوْمِ القُرآنِ مَثْلاً، إلاَّ أنَّه لا يُحسِنُ مِنْ عُلُومِ القُـرْآنِ إلاَّ : دِرَاسَةَ مَنَاهِجِ المؤلِّفِينَ في التَّفْـسِيرِ، وطَرَائِـقِ التَّفْـسيرِ الـصَّحِيحِ مِنْهـا والبَاطِلِ، وعِلْمِ القِرَاءاتِ، وإعْجَازِ القُرآنِ، ولرُبَّما لَيْسَ لبَعْضِهِم مِنَ العِلْـمِ إلاَّ تَحْقِيْقَ مَخْطُوْطَةٍ لبَعْضِ عُلُوْمِ القُرآنِ ... كُلُّ ذَلِكَ للأسَفِ كَانَ مِنْهم عَـلى حِسَابِ فَهْمِهِم وعِلْمِهِم لتَفْسِيرِ القُرآنِ بخَاصَّةٍ، نَاهِيْكَ عَلى حِـسَابِ عُلُـوْمِ الشَّرِيْعَةِ بعَامَّةٍ!

* * *

أمَّا مُحدِّثُو زَمَانِنا فَأمرٌ لا يُنَادَى وَلِيْدُه، فَأكثَرُهُم للأسَفِ إلاَّ مَا رِحَـمَ اللهُ، لا يُحسِنُ مِنْ عُلُومِ الحَدِيْثِ إلاَّ : مُصْطَلَحَ الحَـدِيْثِ، ابتِـدَاءً بالبَيْقُونيَّـةِ، ومُرُورًا بنُخْبَةِ الفِكَرِ، وانتِهَاءً بمُقَدِّمَةِ ابنِ الصَّلاحِ، ومَا حَامَ في حِمَاهَا، مِنْ شَرْحٍ، واخْتِصَارٍ، وتَقْيِيدٍ وتَوضِيْحٍ، ونُكَتٍ، واسْتِدْرَاكٍ، ونَظْمٍ ... إلَخْ .

وقَدْ زَادَ الطِّينَ بِلَّةً؛ أنَّ أكثَرَ مُحدِّثِي زَمَانِنـا (زَعَمُـوا) لَـيْسَ لهُـم مِـنْ عُلُوْمِ الحَدِيْثِ : إلاَّ تَخرِيْجَ الحَـدِيْثِ، ودِرَاسَـةَ مَنَـاهِجِ المُحَـدِّثِينَ في كُتُـبِهِم، ولرُبَّما لَيْسَ لبَعْضِهِم مِنَ العِلْمِ إلاَّ تَحْقِيْقَ مَخْطُوْطَةٍ لبَعْضِ عُلُوْمِ الحَـدِيْثِ ...

كُلُّ ذَلِكَ للأَسَفِ كَانَ مِنْهم عَلى حِسَابِ فَهْمِهِم وعِلْمِهِم وحِفْظِهِم للحَدِيْثِ النَّبَوِيِّ بخَاصَّةٍ، نَاهِيْكَ عَلى حِسَابِ عُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ بعَامَّةٍ!

ونَفَرٌ آخَرُ مِنْهُم مِمَّنْ مَسَّتْهُ وَخَزَاتُ التَّخَصُّصِ: قَدْ أشْغَلَ نَفْسَه وطُلابَه ببَعْضِ الدَّوْرَاتِ الإدَارِيَّةِ، والبَرَامِجِ العَصَبِيَّةِ، واللهُ المُسْتَعَانُ عَلى مَا يَصِفُوْنَ!

***

* **أمَّا العَائِقُ الخَامِسُ**: فَهُوَ فُضُوْلُ المُبَاحَاتِ، ومَا أدْرَاكَ مَا فُضُوْلُ المُبَاحَاتِ؟ إنَّهَا المُهْلِكَاتُ، فإذَا كَانَ المَاءُ والنَّارُ لا يَجْتَمِعَانِ، فكَذَلِكَ طَلَبُ العِلْمِ لا يَجْتَمِعُ مَعَ فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ، ولا يَكَادُ!

وحَسْبُكَ مِنْهَا: **فُضُوْلُ النَّظَرِ، والكَلامِ، والطَّعامِ، والنَّوْمِ، ومُخَالَطَةِ النَّاسِ**، فإنَّ التَّوَسُّعَ في هَذِه المُبَاحَاتِ بَرِيْدُكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ إلى الانْقِطَاعِ أو الفُتُوْرِ، كَما أنَّها مَجْلَبَةٌ للمَعَاصِي!

فَيَا للأَسَفِ!؛ لَقَدْ تَوَسَّعَ كَثِيْرٌ مِنْ طُلابِ العِلْمِ مِنْ أهْلِ زَمَانِنا في فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ؛ مِمَّا أبْعَدَهُم عَنِ التَّحْصِيْلِ، ورُبَّما انْقَطَعَ بِهِم الطَّلَبُ، وهُم بَعْدُ لَمْ يَتَغَرْغَرُوا بالعِلْمِ!

فالحَذَرَ الحَذَرَ يا طَالِبَ العِلْمِ مِنْ فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ، يَقُوْلُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ في «صَيْدِ الخَاطِرِ» (٢١٤) : «واعْلَمْ أنَّ فَتْحَ بَابِ المُبَاحَاتِ رُبَّمَا جَرَّ أذَىً كَثِيْرًا في الدِّيْنِ!» .

ويَقُوْلُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «بَدَائِعِ الفَوَائِدِ» (٢/ ٢٢٩) : «إمْسَاكُ فُضُوْلِ النَّظَرِ، والكَلامِ، والطَّعامِ، ومُخَالَطَةِ النَّاسِ؛ فإنَّ الشَّيْطَانَ إنَّمَا يَتَسَلَّطُ عَلَى ابنِ آدَمَ، ويَنَالُ غَرَضَه مِنْه مِنْ هَذِه الأبْوَابِ الأرْبَعَةِ!» .

وقَالَ أيضًا رَحِمَهُ اللهُ في «الفَوَائِدِ» (١٤٦) : «قَسْوَةُ القَلْبِ في أرْبَعَةِ أشْيَاءٍ إذَا جَاوَزَتْ قَدْرَ الحَاجَةِ : الأكْلُ، والنَّوْمُ، والكَلامُ، والمُخَالَطَةُ!» .

* * *

فكَانَ مِنَ خَالِصَةِ الذِّكْرَى أنْ يَحْذَرَ طَالِبُ العِلْمِ مِنْ فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ، وأنْ يَطْوِيَ بِسَاطَهَا طَيًّا، لاسِيَّما مِمَّنْ رَامَ مَرَاتِبَ العُلَماءِ، ومَنَازِلَ الحُكَماءِ!

فاحْذَرْ يا طَالِبَ العِلْمِ : أنْ يَمَسَّكَ قَرْحُ التَّرَفِ والسَّرَفِ؛ فَإنَّهُما مَذْمُوْمَانِ شَرْعًا وعُرْفًا، وإيَّاكَ والتَّنَعُّمَ؛ فَإنَّه يُوْرِثُ التَّخَنُّثَ (عيَاذًا باللهِ!)، فَإنِّي رَأيْتُ ثَلاثَتَهَا مَجَامِعَ الفُضُوْلِ والتَّبَسُّطِ، ومَنَابعَ التَّرَهُّلِ والرِّقَّةِ، فاحْذَرْ،

وإلاَّ فالطَّرِيْقُ مَسْدُوْدَةٌ والبُلْغَةُ مَفْقُوْدَةٌ، فَدُوْنَ ما تَتَمَنَّى خَرْطُ القَتَادِ!

***

فَهَذِه انْتِقَاءَاتٌ مُخْتَصَرَاتٌ مِنْ مَأْثُوْرَاتِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ؛ تَأْخُذُ بحُجَزِ طُلابِ العِلْمِ مِنْ مُوَاقَعَةِ : فُضُوْلِ الكَلامِ، والطَّعامِ، والنَّظَرِ، والنَّوْمِ، والمُخَالَطَةِ، فتأمَّلها فإنَّها عَزِيْزَةٌ!

* فأمَّا فُضُوْلُ الكَلامِ :

فَقَدْ قَالَ تَعَالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق١٨] .

وقَدْ نَصَّ كَثِيْرٌ مِنَ السَّلَفِ عَلى أنَّ المَلَكَ يَكْتُبُ كُلَّ شَيءٍ ممَّا يَقُوْلُهُ العَبْدُ : خَيْرًا كَانَ أو شَرًّا أو مُبَاحًا!

وإلَيْهِ ذَهَبَ ابنُ عَبَّاسٍ، والحَسَنُ البَصْرِيُّ، وقَتَادَةُ السُّدُوْسِيُّ وغَيْرُهُم .

يَقُوْلُ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنْهُما في مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ : «يُكْتَبُ كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِه مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ؛ حَتَّى إنَّه ليُكْتَبُ قَوْلُهُ : أكَلْتُ، شَرِبْتُ، ذَهَبْتُ، جِئْتُ رَأيْتُ» .

وقَدْ ذُكِرَ أنَّ الإمَامَ أحمَدَ رَحِمَهُ الله كَانَ يَئِنُّ في مَرَضِهِ، فَبلَغَهُ عَنْ طَاوُوْسَ أنَّه قَالَ : يَكْتُبُ المَلَكُ كُلَّ شَيءٍ حَتَّى الأنَيْنَ، فَلَمْ يَئِنْ أحْمدُ؛ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ الله»[١] .

وقَالَ ﷺ : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، فلْيَقُلْ خَيْرًا، أو ليَصْمُتْ»[٢] مُتَّفَقٌ علَيْهِ .

وقَالَ ﷺ : «كَفَى بالمرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[٣] مُسْلِمٌ في المُقَدِّمَةِ .

وقَالَ ﷺ : «مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيْهِ»[٤] أحْمَدُ والتِّرمِذِيُّ .

وهَذَا ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ الله يَسُوْقُ لَنَا في شَرْحِ هَذَا الحَدِيْثِ دُرَرًا غَوَالي، إذْ يَقُوْلُ في «جَامِعِ العُلُوْمِ والحِكَمِ» (١/ ٢٨٧) : «ومَعْنَى هَذَا

---

(١) انْظُرْ «تَفْسِيْرَ القُرْآنِ العَظِيْمِ» لابنِ كَثِيْرٍ (٦/ ٩٨) .

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٦٠١٨)، ومُسْلِمٌ (٤٧) .

(٣) أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٥) .

(٤) أخْرَجَهُ أحمَدُ (١/ ٢٠١)، والتِّرمِذِيُّ (٢٣١٨)، وهُوَ صَحِيْحٌ .

الحَدِيْثِ أنَّ مِنْ حُسْنِ إسْلامِهِ تَرْكَ ما لايَعْنِيْهِ: مِنْ قَوْلٍ أو فِعْلٍ، واقْتَصَرَ عَلى مَا يَعْنِيْهِ مِنَ الأقْوَالِ والأفْعَالِ.

ومَعْنَى: يَعْنِيْهِ أنَّه تَتَعَلَّقُ عِنَايَتُهُ به، ويَكُوْنُ مِنْ مَقْصَدِه ومَطْلُوْبِهِ، والعِنَايَةُ شِدَّةُ الاهْتِمامِ بالشَّيءِ؛ يُقَالُ: عَنَاهُ يَعْنِيْهِ إذَا اهْتَمَّ بِهِ وطَلَبَهُ، ولَيْسَ المُرَادُ أنَّه يَتْرُكُ مَا لا عِنَايَةَ لَه بِهِ ولا إرَادَةً بحُكْمِ الهَوَى وطَلَبِ النَّفْسِ؟!

بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ والإسْلامِ، ولهذَا جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الإسْلامِ» انْتَهى.

***

ومِنْ بَابَةِ الحَذَرِ مِنْ فُضُوْلِ الكَلامِ؛ مَا ذَكَرَتْهُ خَوْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ الأنْصَارِيَّةُ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: جَاءنَا رَسُوْلُ الله ﷺ يَوْمًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُوْلَ الله، بَلَغَنِي عَنْكَ أنَّكَ تُحَدِّثُ أنَّ لَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَوْضًا مَا بَيْنَ كَذَا إلى كَذَا؟

قَالَ: «أجَلْ، وأحَبُّ النَّاسِ إليَّ أنْ يَرْوَى مِنْهُ قَوْمُكِ»، قَالَتْ: فَقَدَّمْتُ إلَيْهِ بُرْمَةً ((قِدْرٌ مِنْ حَجَرٍ) فِيْهَا خُبْرَةٌ ـ أو خَزِيْرَةٌ ـ (طَعَامٌ مِنْ لحْمٍ) فَوَضَعَ رَسُوْلُ الله ﷺ يَدَهُ في البُرْمَةِ ليَأكُلَ، فاحْتَرَقَتْ أصَابِعُهُ، فَقَالَ: «حَسٍّ»،

(كَلِمَةُ تَوَجُّعٍ ممَّا أصَابَهُ)، ثُمَّ قَالَ : «ابنُ آدَمَ إنْ أصَابَهُ البَرْدُ، قَالَ حَسٍّ، وإنْ أصَابَهُ الحَرُّ، قَالَ : حَسٍّ»[١] أحمَدُ .

فَانْظُرْ؛ إلى كَرَاهَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فُضُوْلِ الكَلامِ، ومَا لا فَائِدَةَ فِيْهِ، ولَوْ كَانَ تَأفُّفًا في تَوَجُّعٍ!

بَلْ مَا فَائِدَةُ قَوْلِكَ يا طَالِبَ العِلْمِ : «حَسٍّ»، عِنْدَ قَرْصِ بَرْدٍ، أو إزْعَاجِ حرٍّ؟ فاللَّهُمَّ ارْحَمْنا، آمِيْنَ!

* * *

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِي الله عَنْهُ : «رَحِمَ الله امْرَأً أمْسَكَ فَضْلَ القَوْلِ، وقَدَّمَ فَضْلَ العَمَلِ»[٢].

وقَدْ كَانَ مَالِكُ بنُ أنَسٍ رَحِمَهُ الله يُعِيْبُ كَثْرَةَ الكَلامِ، ويَقُوْلُ : «لا يُوْجَدُ (فُضُوْلُ الكَلامِ) إلاَّ في النِّسَاءِ، والضُّعفَاءِ!»[٣]، أيْ : ضُعَفَاءَ الرِّجَالِ في الدِّيْنِ، أو العَقْلِ .

---

(١) أخرَجَهُ أحمَدُ (٤٥/ ٢٩٦)، ورِجَالُه رِجَالُ الصَّحِيْحِ .

(٢) انْظُرْ «عُيُوْنَ الأخْبَارِ» لابنِ قُتَيْبَةَ (١/ ٣٨٠) .

(٣) انْظُرْ «الآدَابَ الشَّرعِيَّةَ» لابنِ مُفْلِحٍ (١/ ٦٦) .

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ فُضُوْلَ الكَلامِ في قَانُوْنِ السَّلَفِ : هُوَ كُلُّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنَ العَبْدِ لَيْسَتْ مِنَ الفَائِدَةِ في شَيءٍ، وهَذَا مَا ذَكَرَهُ عَطَاءُ بنُ أبي رَبَاحٍ رَحِمَهُ الله، إذْ يَقُوْلُ : «كَانُوا (السَّلَفُ) يَكْرَهُوْنَ فُضُوْلَ الكَلامِ، وكَانُوا يَعُدُّوْنَ فُضُوْلَ الكَلامِ : مَا عَدَا كِتَابَ الله أنْ تَقْرَأَهُ، أو أمْرًا بالمعْرُوْفِ أو نَهيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أو أنْ تَنْطِقَ في مَعِيْشَتِكَ بِما لا بُدَّ لَكَ مِنْه!»[١] .

***

ومِنْ مَحَاسِنَ غُبَّارَاتِ الزَّمَنِ الأوَّلِ : أنَّ الرَّبِيْعَ بنَ خُثَيْمٍ رَحِمَهُ الله ؛ حِيْنَما جَاءتْهُ ابْنَتُهُ وعِنْدَهُ أصْحَابُه، فَقَالَتْ : يا أبَتَاهُ أذْهَبُ ألْعَبُ؟ فَقَالَ : لا!

فَقَالَ القَوْمُ : يَا أبا يَزِيْدَ ائْذَنْ لها تَلْعَبُ! قَالَ : يُوْجَدُ ذَلِكَ في صَحِيْفَتِي أنِّي قُلْتُ لها : الْعَبِي، ولَكِنْ اذْهَبِي فَقُوْلي خَيْرًا![٢] انْتَهَى .

قُلْتُ : هَذَا سَنَدٌ عَالٍ، ووَرَعٌ عَالٍ، لكِنَّ الله عَفُوٌّ كَرِيْمٌ!

***

أمَّا إنْ سَألْتَ عَنْ هَلاكِ النَّاسِ، فَهُو ما ذَكَرَهُ إبْرَاهِيْمُ النَّخَعِيُّ رَحِمَهُ الله :

---

(١) انْظُرْ «الآدَابَ الشَّرعِيَّةَ» لابنِ مُفْلِحٍ (١/ ٦٢) .

(٢) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحْمَدَ (٤٦١) .

«إنَّما أهْلَكَ النَّاسَ : فُضُوْلُ الكَلامِ، وفُضُوْلُ المَالِ!»[١] .

أمَّا عَنْ قَسْوَةُ القَلْبِ، فكَما ذَكَرَهُ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ الله؛ أنَّه قَالَ :

«شَيْئَانِ يُقَسِّيَانِ القَلْبَ : كَثْرَةُ الكَلامِ، وكَثْرَةُ الأكْلِ!»[٢] .

* * *

* أمَّا فُضُوْلُ الطَّعَامِ :

فكَـما قَـالَ تَعَـالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف٣١] .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : جَمَعَ الله الطِّبَّ كُلَّـهُ في نِـصْفِ آيَـةٍ : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ .

فأمَّا الإسْرَافُ المَذْمُوْمُ في الآيَةِ فَهُوَ مَا ذَكَرَهُ الـشَّيْخُ الـسَّعْدِيُّ رَحِمَـهُ الله في «تَفْسِيْرِهِ» (٢٤٩)، إذْ يَقُوْلُ :«﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ : أيْ ممَّا رَزَقَكُـمُ الله مِنَ الطَّيِّبَاتِ، ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ : في ذَلِكَ، والإسْرَافُ : إمَّا أنْ يَكُـوْنَ بالزِّيَـادَةِ

(١) انْظُرْ «الآدَابَ الشَّرعِيَّةَ» لابنِ مُفْلِحٍ (٣/ ٢٦١) .

(٢) انْظُرْ «رَوْضَةَ العُقَلاءِ» لابنِ حِبَّانَ (٤٣) .

عَلى القَدْرِ الكَافي والشَّرَهِ في المأكُوْلاتِ الَّتِي تَضُرُّ بالجِسْمِ، وإمَّا يكُوْنَ بزِيَادَةِ التَّرَفُّهِ والتَّنَوُّعِ في المأكَلِ والمَشْرَبِ واللِّبَاسِ، وإمَّا بتَجَاوُزِ الحَلالِ إلى الحَرَامِ» انْتَهَى.

وقَالَ ﷺ: **«مَا مَلأ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكَلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كَانَ لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لطَعَامِه، وثُلُثٌ لشَرَابِه، وثُلُثٌ لنَفَسِه»**[1] أحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ.

***

ولا تَحْسِبَنَّ يَا رَعَاكَ اللهُ أنَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وأصْحَابُه في حَيَاتِهِمْ مِنْ طُوْلِ جُوْعٍ، وقِلَّةِ زَادٍ: بأنَّهُم أقَلُّ فَضْلٍ مِنْ غَيْرِهِم، وأنْقَصُ حَالٍ ممَّنْ دُوْنَهُم؟! كَلَّا!

بَلْ كَانُوا في أفْضَلِ حَالٍ، وأكْمَلِ مَآلٍ، وهَذَا مَا ذَكَرَهُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ في «جَامِعِ العُلُوْمِ والحِكَمِ» (٢/ ٤٧٥)، إذْ يَقُوْلُ عَنْهُم: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وأصْحَابُه يَجُوْعُوْنَ كَثِيْرًا، ويَتَقَلَّلُوْنَ مِنْ أكْلِ الشَّهَوَاتِ، وإنْ كَانَ ذَلِكَ لعَدَمِ وُجُوْدِ الطَّعَامِ؛ إلاَّ أنَّ اللهَ لا يَخْتَارُ لرَسُوْلِهِ إلاَّ أكْمَلَ الأحْوَالِ

(١) أخْرَجَهُ أحمَدُ (٤/ ١٣٢)، والتِّرمِذِيُّ (٢٣٨٠)، وهُوَ صَحِيْحٌ.

وأفْضَلِها؛ ولهذَا كَانَ ابنُ عُمَرَ يَتَشَبَّهُ بِهِم في ذَلِكَ مَعْ قُدْرَتِهِ عَلى الطَّعَامِ، وكَذَلِكَ أَبُوْهُ مِنْ قَبْلِهِ» انْتَهَى .

وقَالَ ﷺ : «**خَيْرُ القُرُوْنِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُم، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُم، ثُمَّ يَأتِي قَوْمٌ يَشْهَدُوْنَ ولا يُسْتَشْهَدُوْنَ، ويَنْـذُرُوْنَ ولا يُوْفُـوْنَ، ويَظْهَـرُ فِـيْهِمُ السِّمنُ**»[1] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

لِذَا كَانَ السَّلَفُ يُحَذِّرُوْنَ مِنَ السِّمْنَةِ والبِطْنَةِ، وهَـذَا مَـا ذَكَـرَهُ ابـنُ رَجَبٍ نَفْسُه (ص٤٧١) عَنْ سَلَمَةَ بنِ سَعِيْدٍ قَـالَ : «إنْ كَـانَ الرَّجُـلُ لَيُعَـيَّرُ بالبِطْنَةِ، كَما يُعَيَّرُ بالذَّنْبِ يَعْمَلُهُ» .

قُلْتُ : هَذا التَّعْيِيْرُ فِيْما إذَا كَانَ الرَّجُلُ سَبَبًا في سِمْنَتِه؛ لاسِيَّما إذَا كَانَ أَكُوْلاً ذَا شَرَهٍ، وإلاَّ : لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا!

* * *

كَما كَانَ السَّلَفُ يَكْرَهُوْنَ أنْ يُرْسِلَ الْمُسْلِمُ عَنَانَ بَطْنِهِ وَرَاءَ ما يَشْتَهِي ويَهْوَى!

وهَذَا مَا ذُكِرَ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّه لَمَّا دَخَلَ عَلى ابْنِهِ

---

(١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٦١٥)، ومُسْلِمٌ (٢٥٣٥) .

عَبْدِ الله، وإذَا عِنْدَهُ لحمٌ، فَقَالَ لَه : مَا هَذَا اللَّحْمُ؟ فقَالَ : اشْتَهَيْتُهُ، قَالَ : أوَ كُلَّمَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا أكَلْتَهُ؟ كَفَى بالمرْءِ سَرَفًا أنْ يَأكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَاهُ![1] انْتَهَى .

وأبْلَغُ مِنْهُ مَا قَالَهُ أيْضًا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ؛ حِيْنَ خَطَبَ يَوْمًا فقَالَ : «إيَّاكُمْ والبِطْنَةَ، فإنَّها مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلاةِ، مُؤذِيَةٌ للجِسْمِ، وعَلَيْكُم بالقَصْدِ في قُوْتِكِم، فإنَّه أبْعَدُ مِنَ الأشَرِ، وأصَحُّ للبَدَنِ، وأقْوَى على العِبَادَةِ، وأنَّ امْرأً لَنْ يُهْلَكَ حَتَّى يُؤثِرَ شَهْوَتَهُ عَلى دِيْنِهِ!»[2] .

وقَالَ أيْضًا عَمْرُو بنُ قَيْسٍ رَحِمَهُ الله : «إيَّاكُم والبِطْنَةَ؛ فَإنَّها تُقَسِّي القَلْبَ»[3] .

* * *

وهَذَا مَا يُؤكِّدُهُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله في كِتَابِهِ البَدِيْعِ «بَدَائِعِ الفَوَائِدِ» (٢/ ٨٢٠) إذْ يَقُوْلُ : «وأمَّا فُضُوْلُ الطَّعَامِ فَهْوَ دَاعٍ إلى أنْوَاعٍ كَثِيْرَةٍ مِنَ الشَّرِّ؛ فإنَّه يُحَرِّكُ الجَوَارِحَ إلى المَعَاصِي، ويُثْقِلُهَا عَنِ الطَّاعَاتِ ـ وحَسْبُكَ

---

(١) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحْمَدَ (١٨١) .

(٢) انْظُرْ «الآدَابَ الشَّرعِيَّةَ» لابنِ مُفْلِحٍ (٣/ ١٨٤) .

(٣) انْظُرْ «جَامِعَ العُلُوْمِ والحِكَمِ» لابنِ رَجَبٍ (٢/ ٤٧١) .

بِهَذَيْنَ شَرًّا ـ فَكَمْ مِنْ مَعْصِيَةٍ جَلَبَهَا الشِّبَعُ وفُضُوْلُ الطَّعَامِ، وكَمْ مِنْ طَاعَـةٍ حَالَ دُوْنَها، فَمَنْ وُقِيَ شَرَّ بَطْنِهِ فَقَدْ وُقِيَ شَرًّا عَظِيمًا، والـشَّيْطَانُ أعْظَـمُ مَـا يَتَحَكَّمُ مِنَ الإنْسَانِ إذَا مَلأَ بَطْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ!

ثُمَّ قَالَ : ولَوْ لم يَكُنْ في التَّملِّي مِنَ الطَّعَامِ إلاَّ أنَّه يَدْعُو إلى الغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ الله عَزَّ وجَلَّ، وإذَا غَفَلَ القَلْبُ عَـنِ الـذِّكْرِ سَـاعَةً وَاحِـدَةً جَـثَمَ عَلَيْـهِ الشَّيْطَانُ ووَعَدَهُ ومَنَّاهُ وشَهَّاهُ، وهَامَ بِهِ في كُلِّ وَادٍ، فـإنَّ الـنَّفْسَ إذا شَـبِعَتْ تَحَرَّكَـتْ وجَالَـتْ وطَافَـتْ عَـلى أبْـوابِ الـشَّهَوَاتِ، وإذَا جَاعَـتْ سَـكَنَتْ وخَشَعَتْ وذَلَّتْ!» انْتَهَى .

وكَذَا يَقُوْلُ ابنُ الجَوْزِيُّ رَحِمَهُ الله في «صَيْدِ الخَـاطِرِ» (٤٥١) : «فأمَّـا التَّوَسُّعُ في المطَاعِمِ؛ فإنَّه سَببُ النَّوْمِ، والشِّبَعُ يُعْمِي القَلْـبَ، ويُهْـزِلُ البَـدَنَ ويُضْعِفُهُ» .

***

ومِنْ طَرِيْفِ حَبْسِ النَّفْسِ عَنْ فُضُوْلِ الطَّعَامِ، وحَبْسِها عَلى مُلازَمَةِ العِلْمِ، مَا ذَكَرَهُ ابنُ الجَوْزِيُّ رَحِمَهُ الله في «صَيْدِ الخَـاطِرِ» (٢٧٨) : أنَّ بَعْـضَ الفُقَهَاءِ قَالَ : بَقِيْتُ سِنِيْنَ اشْتَهِي الهَرِيْسَةَ لا أقْـدِرُ عَلَيْهـا؛ لأنَّ وَقْـتَ بَيْعِهَـا وَقْتَ سَماعِ الدَّرْسِ!» انْتَهَى .

اللَّهُمَّ؛ ارْحَمْ ضَعْفَنَا، وأَجْبِرْ كَسْرَنَا، ومَنْ يُطِيْقُ هَذَا؟ لكنَّنا نَعْلَمُ يَقِيْنًا أَنَّ القَوْمَ في صِدْقٍ مَعَ الله، وحَالٍ مَعَ العِلْمِ مَا يَعْجَبُ المَرْءُ مِنْهُ؛ حتَّى إنَّ الرَّجُلَ الصَّادِقَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا في طَلَبِ العِلْمِ ليَتَصَاغَرُ أَمَامَهُمْ، فكَيْفَ السَّبِيْلُ والحَالَةُ هَذِه لمَنْ يَطْلُبُ العِلْمَ عَلى فَتْرَةٍ في دِرَاسَةٍ، أو جَاهٍ في شُهْرَةٍ، أو مُمَارَاةٍ في تَعَالُمٍ؟!

***

ومَهْما جَاءَ مِنْ أَثرٍ هُنَا؛ إلاَّ أنَّ الاعْتِدَالَ والقَصْدَ في الأكْلِ: هُوَ مَطْلَبٌ شَرعِيٌّ، ومَأرَبٌ صِحِّيٌّ، فالغُلُوُّ والتَّفْرِيْطُ لَيْسَ مِنْ جَادَّةِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، وخَيْرُ الأُمُوْرِ أَوْسَاطُهَا، كَما ذَكَرَهُ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ وغَيْرُهُ.

أَمَّا مَنِ ابْتُلِيَ بِشَيءٍ مِنَ البِطْنَةِ أو السِّمْنَةِ؛ فَعَلَيْهِ بالحِمْيَةِ الشَّرعِيَّةِ، وذَلِكَ بالصِّيَامِ، أو التَّدَرُّجِ في تَقْلِيْلِ الطَّعَامِ والشَّرابِ، وعَدَمِ التَّرسُّلِ في كُلِّ ما تَشْتَهِيْهِ النَّفْسُ وتَهوَاهُ!

***

ومَا أَخْرَجَهُ الطَّبرانيُّ في «المُعْجَمِ الأوْسَطِ» وغَيْرُهُ: «**صُوْمُوا تَصِحُّوا**» لا يَصِحُّ بِمَرَّةٍ!

ودَعْ عَنْكَ مَا يُسَمَّى : (بالرِّجِيْمِ) الَّذِي تَبَارَى في حَلَبَتِهِ أكْثَرُ أهْلِ زَمَانِنا مَا بَيْنَ : جَرِيْحٍ وطَرِيْحٍ، وبَيْنَ كَالٍ ومُعْتَلٍّ؛ حَيْثُ أخَذَ مِنْهُم مَآخِذَ وطَرَائِقَ شَتَّى : سَوَاءٌ في طَرِيْقَةِ تَوْظِيْفِهِ، أو تَنْوِيْعِ أسْمائِهِ؛ حَتَّى إنَّه صَرَفَ كَثِيرًا مِنْ أهْلِ السِّمْنَةِ عَنِ الحِمْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ، كَما أنَّ لَهُ مِن اسْمِهِ نَصِيْبٌ، ونَعُوْذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ (الرَّجِيْمِ)!

* * *

وقَدْ نَصَّ ابنُ قُدَامَةَ المَقْدِسِيُّ في كِتَابِه «مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنَ» (١٧٧) عَلى طَرِيْقَةِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ؛ إذْ يَقُوْلُ رَحِمَهُ الله : «وطَرِيْقُ الرِّيَاضَةِ في كَسْرِ شَهْوَةِ البَطْنِ أنَّ مَنْ تَعَوَّدَ اسْتِدَامَةَ الشِّبَعِ؛ فَيَنْبَغِي لَه أنْ يُقَلِّلَ مِنْ مَطْعَمِهِ يَسِيْرًا يَسِيْرًا مَعَ الزَّمَانِ إلى أنْ يَقِفَ عَلى حَدِّ التَّوَسُّطِ الَّذِي أشَرْنَا إلَيْهِ، وخَيْرُ الأمُوْرِ أوْسَاطُها .

فالأوْلى تَنَاوُلُ مَا لا يَمْنَعُ مِنَ العِبَادَاتِ، ويَكُوْنُ سَبَبًا لبَقَاءِ القُوَّةِ، فَلا يُحِسُّ المُتَنَاوِلُ بجُوْعٍ ولا شِبَعٍ؛ فَحِيْنَئِذٍ يَصِحُّ البَدَنُ، وتَجْتَمِعُ الهِمَّةُ، ويَصْفُو الفِكْرُ، ومَتَى زَادَ الأكْلُ أوْرَثَهُ كَثْرَةَ النَّوْمِ، وبَلادَةَ الذِّهْنِ» انْتَهى .

* * *

* أمَّا فُضُوْلُ النَّظَرِ :

قَالَ تَعَالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه١٣١] .

قَالَ ابنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ الله في «تَفْسِيْرِهِ» (٥/ ٣٢٦) : «يَقُوْلُ تَعَالى لنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ الله وسَلامُهُ عَلَيْهِ : لا تَنْظُرْ إلى هَؤلاءِ الْمُتْرَفِيْنَ، وأشْبَاهِهِم ونُظَرائِهِم، ومَا هُمْ فِيْهِ مِنَ النِّعَمِ، فَإنَّما هُوَ زَهْرَةٌ زَائِلَةٌ، ونِعْمَةٌ حَائِلَةٌ، لنَخْتَبِرَهُم بذَلِكَ، وقَلِيْلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُوْرُ» انْتَهى .

ويَقُوْلُ ابنُ سَعْدِي رَحِمَهُ الله في «تَفْسِيرِه» (٤٦٦) في مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ : « أيْ : ولا تَمُدَّ عَيْنَيْكَ مُعْجبًا، ولا تُكَرِّرَ النَّظَرَ مُسْتَحْسِنًا إلى أحْوَالِ الدُّنْيَا والْمُتَّعِيْنَ بِهَا مِنَ المآكِلِ والمَشَارِبِ اللَّذِيْذَةِ، والمَلابِسِ الفَاخِرَةِ، والبُيُوْتِ المُزَخْرَفَةِ، والنِّسَاءِ المُجَمَّلَةِ؛ فإنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ زَهْرَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا تَبْتَهِجُ بها نُفُوْسُ المُغْتَرِّيْنَ، وتَأخُذُ إعْجَابًا بأبْصَارِ المُعْرِضِيْنَ، ويَتَمَتَّعُ بها ـ بقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الآخِرَةِ ـ القَوْمُ الظَّالمُوْنَ، ثُمَّ تَذْهَبُ سَرِيْعًا وتَمْضِي جَمِيْعًا، وتَقْتُلُ مُحِبِّيهَا وعُشَّاقَهَا؛ فَيَنْدَمُوْنَ حَيْثُ لا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ، ويَعْلَمُوْنَ مَا هُم عَلَيْهِ إذَا قَامُوْا يَوْمَ القِيَامَةِ؟

وإنَّما جَعَلَهَا الله فِتْنَةً واخْتِبَارًا ليَعْلَمَ مَنْ يَقِفُ عِنْدَهَا ويَغْتَرَّ بِها، ومَنْ هُوَ أحْسَنُ عَمَلاً» انْتَهَى .

***

وقَالَ ابنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ الله في كِتَابِ «مُخْتَصَرِ الفَتَاوَى المِصْرِيَّةِ» (٣٥) في مَعْنَى هَذِه الآيَةِ : «النَّظَرُ إلى الأشْجَارِ والخَيْلِ والبَهَائِمِ إذَا كَانَ عَلى وَجْهِ اسْتِحْسَانِ الدُّنْيَا والرِّيَاسَةِ والمَالِ فَهُوَ مَذْمُوْمٌ .

لَقَوْلِ الله تَعَالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ .

وأمَّا إذَا كَانَ عَلى وَجْهٍ لا يُنقِصُ الدِّيْنَ، وإنَّما فِيْهِ رَاحَةٌ للنَّفْسِ فَقَطُ، كالنَّظَرِ إلى الأزْهَارِ، فَهَذَا مِنَ البَاطِلِ الَّذِي يُسْتَعَانُ به عَلى الحَقِّ» انْتَهَى .

***

وهَذَا ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله نَجِدُهُ في «بَدَائِعِ الفَوَائِدِ» (٢/ ٨١٧)، يُحَذِّرُ مِنْ فُضُوْلِ النَّظَرِ مُبيِّنًا غَوَائِلَهُ، وآثَارَهَ السَّيِّئَةِ، بقَوْلِهِ : «فُضُوْلُ النَّظَرِ يَدْعُو إلى الاسْتِحْسَانِ، ووُقُوْعِ صُوْرَةِ المَنْظُوْرِ إلَيْهِ في القَلْبِ، والاشْتِغَالِ بِهِ، والفِكْرِ في الظَّفَرِ بِهِ، فَمَبْدَأُ الفِتْنَةِ مِنْ فُضُوْلِ النَّظَرِ ... فالحَوَادِثُ العِظَامُ إنَّما

كُلُّهَا مِنْ فُضُوْلِ النَّظَرِ، فَكَمْ نَظْرَةٍ أعْقَبَتْ حَسَرَاتٍ لا حَسْرَةً، كَما قَالَ الشَّاعِرُ:

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظَرِ ... ومُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فتكَتْ في قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بَلا قَوْسٍ ولا وَتَرِ

وقَالَ الآخَرُ:

وكُنْتَ مَتَى أرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا ... لقَلْبِكَ يَوْمًا أتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ

رَأيْتُ الَّذِي لا كُلُّهُ أنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ ولا عَنْ بَعْضِهِ أنْتَ صَابِرُ

***

وهَذَا أبو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ الله عَنْهُ يُحَذِّرُ مَوَاطِنَ النَّظَرِ بِقَوْلِهِ: «إيَّاكُمْ والسُّوْقَ، فإنَّها تُلْغِي وتُلْهِي»[1]، نَعَمْ؛ لأنَّ السُّوْقَ مَوْرِدُ النَّظَرِ إلى الصُّوَرِ، ومَثَارَةُ التَّلَفُّتِ إلى الزِّيْنَةِ والفِتْنَةِ!

وقَدْ عَدَّ بَعْضُ السَّلَفِ كَثْرَةَ الالْتِفَاتِ مِنْ خَوَارِمِ المُرُوْءَةِ، وهَذَا مَا ذَكَرَهُ إبْرَاهِيْمُ النَّخَعِيُّ رَحِمَهُ الله: «لَيْسَ مِنَ المُرُوْءَةِ كَثْرَةُ الالْتِفَاتِ في الطَّرِيْقِ!»[2].

---

(١) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحْمَدَ (١٦٨).

(٢) انْظُرْ «بَهْجَةَ المَجَالِسِ» لابنِ عَبْدِ البرِّ (١/ ٦٤٤).

ومِثْلُهُ أيْضًا كَثْرَةُ الالْتِفَاتِ بَعْدَ الانْصَرافِ مِنَ الصَّلاةِ؛ حَيْثُ نَجِدُ بَعْضًا مِنَ المُصَلِّيْنَ (للأسَفِ!) إذا سَلَّمَ مِنْ صَلاتِه؛ لا يَسْأمُ مِنَ الالْتِفَاتِ يَمِيْنًا وشِمَالاً، ويُقَلِّبُ نَاظِرَيْهِ في وُجُوْهِ المُصَلِّيْنَ!

***

وهُنَا نَوْعٌ آخَرُ مِنْ نَوَادِرِ التَّوَرُّعِ وغَضِّ البَصَرِ، وهُوَ أنَّ رَجُلاً سَألَ دَاوُدَ الطَّائيَّ رَحِمَهُ الله، فَقَالَ : لَوْ أمَرْتَ بِها في سَقْفِ البَيْتِ مِنَ العَنْكَبُوْتِ فنُظِّفْ؟!

فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ الطَّائيُّ : أمَا عَلِمْتَ أنَّ مُجَاهِدًا كَانَ العَنْكَبُوْتُ في دَارِهِ ثَلاثِيْنَ سَنَةً لم يَشْعُرْ بِهِ[1]؟!

قُلْتُ : أيْ : مَا زَالَتِ العَنَاكِبُ تَنْسِجُ بِيُوْتَها وتَعِيْشُ عَلى سَقْفِ بَيْتِهِ مُنْذُ ثَلاثِيْنَ، وهُوَ لا يَعْلَمُ ولا يَنْظُرُ!

والعَجَبُ مَوْصُولاً لا يَنْقَطِعُ؛ إذَا عَلِمْنَا أنَّ القَوْمَ في حَالٍ مَعَ الله تَعَالى، وفي انْقِطَاعٍ عَنِ الدُّنْيَا ممَّا كَانَ سَبَبًا في صَرْفِ هِمَمِهِم عَنْ فُضُوْلِ النَّظَرِ، فإنْ فَهِمْتَ هَذَا مِنْهُم، وإلاَّ تَجَاوَزْهُ إلى مَا تَسْتَطِيْعُ؟!

(١) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحمَدَ (٢٥٥) .

وهَذَا لَوْنٌ آخَرُ في وَرَعِ القَوْمِ وعُلُوِّ هِمَمِهِم، وهو أنَّ يَحْيَى بنَ يَحْيَى اللَّيْثِيَّ فَقِيْهَ الأنْدَلُسِ رَحِمَهُ الله لمَّا رَحَلَ إلى المَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ ليَطْلُبَ العِلْمَ عِنْدَ الإمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ الله، فَبَيْنَما هُوَ جَالِسٌ إذْ مَرَّ على بَابِ مَالِكٍ الفِيْلُ!

فَخَرَجَ كُلُّ مَنْ كَانَ في مَجْلِسِهِ لِرُؤْيَةِ الفِيْلِ، سِوَى يَحْيَى بنِ يَحْيَى، وبَقِيَ مَكَانَهُ!

فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: لِمَ لا تَخْرُجُ فَتَرَى الفِيْلَ؛ لأنَّه لا يَكُوْنُ في الأنْدَلُسِ؟

فَقَالَ يَحْيَى: إنَّما جِئْتُ مِنْ بَلَدِي لأنْظُرَ إلَيْكَ، وأتَعَلَّمَ مِنْ هَدْيِكَ وعِلْمِكَ، ولم أجِئ لأنْظُرَ إلى الفِيْلِ، فأُعْجِبَ بِهِ مَالِكٌ، وسَمَّاهُ: عَاقِلَ الأنْدَلُسِ[1]!

فافهَمْ هَذَا أيْضًا؛ وإلاَّ تجاوَزْهُ، فالعُقُوْلُ قَاصِرَةٌ، والهِمَمُ مُتَقَاصِرَةٌ، والله المُسْتَعَانُ وعَلَيْهِ التُّكْلانُ!

***

(١) انْظُرْ «جَذْوَةَ المُقْتَبِسِ» للحُمَيْدِيِّ (٣٨٢)، و«تَرْتِيْبَ المَدَارِكِ» للقَاضِي عِيَاضٍ (٢/ ٥٤٠)، و«سِيَرَ الأعْلامِ» للذَّهَبِيِّ (١٠/ ٥٢١) بتَصَرُّفٍ.

* أمَّا فُضُوْلُ النَّوْمِ :

فَقَـدْ قَـالَ الله تَعَـالى : ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ (١٧) وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الذاريات١٧-١٨] .

أيْ : كَانُوا يُكَابِدُوْنَ قِيَامَ اللَّيْلِ فَلا يَنامُوْنَ مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ أقَلَّهُ، بَـلْ لا تَمُرُّ عَلَيْهِم لَيْلَةٌ إلاَّ أخَذُوْا حَظَّهُمْ مِنَ الصَّلاةِ، لِذَا كَانَ طُوْلُ النَّـوْمِ وفُـضُوْلُهُ مَانِعًا عَنِ القِيَامِ، وقَاطِعًا لتَحْصِيْلِ الخَيْرِ!

قَالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ الله : «لَيْسَ مِنْ بَنِـي آدَمَ أحَـبُّ إلى شَـيْطَانِهِ مِنَ الأكُوْلِ النَّوَامِ!»[١] .

وفَوْقَ ذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ الله : يَرَوْنَ كَثْرَةَ النَّوْمِ والطَّعَامِ ذَنْبًـا مُتَوَقِّفٌ عَلى التَّوْبَةِ، وهَذَا مَا قَالَهُ الحَسَنُ البَـصْرِيُّ رَحِمَـهُ الله : «تُوْبُـوا إلى الله مِنْ كَثْرَةِ النَّوْمِ والطَّعَامِ!» .

* * *

أمَّا مَنْهَجُ السَّلَفِ في النَّوْمِ فكَانَ قَصْدًا في اعْتِدَالٍ، فَلا يَنامُوْنَ تَكَثُّـرًا ولا تَشَهِّيًا، بَلْ يَنامُوْنَ إذَا غَلَبَهُمُ النُّوْمُ وجَثَمَ، وإذَا نَامُوا أخَذُوا حَظًّا مِنَ

---

(١) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحْمَدَ (٥١٧) .

الكِفَايَةَ بِقَدْرِ مَا يُعِيْنَهُم على عَمَلِ الدِّيْنِ والدُّنْيا!

وهَذَا مَا نصَّ عَلَيْهِ ابنُ قُدَامَةَ المَقْـدِسِيُّ رَحِمَـهُ الله في «مُخْتَـصَرِ مِنْهَـاجِ القَاصِدِيْنَ» (٥٩)، إذْ يقُوْلُ : «ويَنْبَغِي أنْ لا يَنَامَ حَتَّى يَغْلِبَهُ النَّوْمُ، فَقَدْ كَـانَ السَّلَفُ لا يَنامُوْنَ إلاَّ غَلَبَةً» .

* * *

* أمَّا فُضُوْلُ المُخَالَطَةِ :

لا شَـكَّ أنَّ العُزْلَـةَ والخَلْـوَةَ بـذِكْرِ الله تَعَـالى، ومُحَاسَـبَةَ الـنَّفْسِ في الخَلَوَاتِ مِنَ العُبُوْدِيَّةِ الَّتِي أمَرَنَا الله بِها، فَفِي القُرْآنِ والـسُّنَّةِ الـشَّيءُ الكَثِيْرُ مِنَ الأوَامِرِ والشَّوَاهِدِ الدَّاعِيَةِ إلى ذِكْرِ الله تَعَالى، والتَّفكُّرِ في خَلْقِـهِ وآلائِـهِ، ومُحَاسَبَةِ النَّفْسِ!

* * *

فَقَدَ ذَكَرَ ابنُ قُدَامَةَ المَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ الله في «مُخْتَصَرِ مِنْهَـاجِ القَاصِـدِيْنَ» (١١٤)، أنَّ عُمَـرَ بـنَ الخَطَّـابِ رَضِيَ الله عَنْـهُ قَـالَ : «خُـذُوا حَظَّكُـم مِـنَ العُزْلَةِ» .

وكَذَا قَالَ مَسْرُوْقٌ رَحِمَهُ الله : «إنَّ المَرْءَ لحَقِيْقٌ أنْ يَكُوْنَ لَهُ مَجَالِس يَخْلُو فِيْهَا

فَيَذْكُرَ فِيْهَا ذُنُوْبَهُ، فَيَسْتَغْفِرَ مِنْهَا»[1].

* * *

وهَذَا شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ الله، يَقُوْلُ في «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (١٠/ ٤٠٥، ٤٢٦) : «وأمَّا اعْتِزَالُ النَّاسِ في فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ ومَا لا يَنْفَعُ - وذَلِكَ بالزُّهْدِ فِيْهِ - فَذَلِكَ مُسْتَحَبٌّ».

وقَالَ أيْضًا : «ولا بُدَّ للعَبْدِ مِنْ أوْقَاتٍ يَنْفَرِدُ بها بنَفْسِهِ في دُعَائِهِ وذِكْرِه، وصَلاتِه وتَفَكُّرِه، ومُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وإصْلاحِ قَلْبِهِ» انْتَهَى.

* * *

لِذَا كَانَ فُضُوْلُ المُخَالَطَةِ بَرِيْدًا لقَسْوَةِ القَلْبِ، وقَاطِعًا لطَرِيْقِ الخَيْرِ والتَّفَكُّرِ، وطَلَبِ التَّوْبَةِ، نَاهِيْكَ مَطَالِبَ العِلْمِ ومَدَارِجَ العُلَمَاءِ!

وهَذَا مَا ذَكَرَهُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله في «بَدَائِعِ الفَوَائِدِ» (٢/ ٨٢١) بِقَوْلِهِ : «إنَّ فُضُوْلَ المُخَالَطَةِ : هِيَ الدَّاءُ العُضَالُ الجَالِبُ لِكُلِّ شَرٍّ، وكَمْ سَلَبَتِ المُخَالَطَةُ والمُعَاشَرَةُ مِنْ نِعْمَةٍ؟ وكَمْ زَرَعَتْ مِنْ عَدَاوَةٍ؟ وكَمْ غَرَسَتْ في القَلْبِ مِنْ حَزَازَاتٍ تَزُوْلُ الجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ وهِيَ في القُلُوْبِ لا تَزُوْلُ؟!

---

(١) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحْمَدَ (٤٥٨).

فَفُضُوْلُ المُخَالَطَةِ فِيْهِ خَسَارَةُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وإنَّما يَنْبَغِي للعَبْدِ أنْ يَأخُذَ مِنَ المُخَالَطَةِ بِمِقْدَارِ الحَاجَةِ» انْتَهى .

***

ثُمَّ؛ إيَّاكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ : أنَّ تَظُنَّ بأنَّ الجُلُوْسَ مَعَ الصَّالِحِيْنَ خَيْرٌ كُلُّهُ، وفَضْلٌ جُلُّهُ، دُوْنَ تَقْيِيْدٍ بحَالٍ أو اعْتِبَارٍ بمَقَالٍ؟!

وهَذَا مَا قَرَّرَهُ ابنُ القَيِّمِ في كِتَابِهِ «الفَوَائِدِ» (٨٠)، إذْ ذَكَرَ بَعْضَ آفَاتِ الاجْتِماعِ مَعَ الصَّالِحِيْنَ مَا يَعِزُّ وُجُوْدُهُ عِنْدَ غَيْرِهِ رَحِمَهُ اللهُ؛ إذْ يَقُوْلُ : «الاجْتِماعُ بالإخْوَانِ قِسْمانِ :

أحَدُهُمَا : اجْتِماعٌ عَلى مُؤانَسَةِ الطَّبْعِ، وشُغْلِ الوَقْتِ؛ فَهَذَا مَضَرَّتُه أرْجَحُ مِنْ مَنْفَعَتِه، وأقَلُّ مَا فِيْهِ أنْ يُفْسِدَ القَلْبَ، ويُضَيِّعَ الوَقْتَ .

الثَّاني : الاجْتِماعُ بِهِم عَلى التَّعَاوُنِ عَلى أسْبَابِ النَّجَاةِ، والتَّوَاصِي بالحَقِّ والصَّبْرِ؛ فَهَذَا أعْظَمُ الغَنِيْمَةِ وأنْفَعِها؛ ولَكِنْ فِيْهِ ثَلاثُ آفَاتٍ :

أحَدُهَا : تَزَيُّنُ بَعْضِهِم لبَعْضٍ .

الثَّانيةُ : الكَلامُ والخُلْطَةُ أكْثَرَ مِنَ الحَاجَةِ .

والثَّالِثَةُ : أنْ يَصِيْرَ ذَلِكَ شَهْوَةً وعَادَةً يَنْقَطِعُ بِها عَنِ المَقْصُوْدِ» انْتَهى.

قُلْتُ : إذَا لم يُفَتِّشْ طَالِبُ العِلْمِ عَنْ مَوَاطِنِ جُلُوْسِهِ، ومَبَاغِي جُلَسَائِهِ، كَما ذَكَرَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله، وإلاَّ كَانَتْ مُخَالَطَتُهُ بالصَّالِحِيْنَ آفَةً قَدْ تَأخُذُهُ إلى أوْدِيَةِ غَفْلَةٍ عَنْ طَلَبِ العِلْمِ الَّذِي يُرِيْدُ، وهُوَ لا يَعْلَمُ، والله أعْلَمُ.

* * *

ومِنْ محَاسِنِ النَّصَائِحِ السَّنِيَّةِ الخَاصَّةِ لطُلابِ العِلْمِ، مَا ذَكَرَهَا ابنُ القَيِّمِ عَنْ شَيْخِهِ ابنِ تَيْمِيَّةَ في «مَدَارِجِ السَّالِكِيْنَ» (٢/ ٢٠٢) : «قَالَ لِي شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ـ قَدَّسَ اللهُ رُوْحَهُ ـ في شَيْءٍ مِنَ المُبَاحِ : هَذَا يُنَافي المَرَاتِبَ العَالِيَةَ، وإنْ لَمْ يَكُنْ تَرْكُه شَرْطًا في النَّجَاةِ».

* * *

وأخِيْرًا؛ فإنَّني أُوْصِي نَفْسِي، وطُلابَ العِلْمِ أنْ يَأخُذُوا حَظَّهُم مِنْ كُتُبِ «الزُّهْدِ» قِرَاءةً وإقْرَاءً، ودَرْسًا ومُدَارَسَةً، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ السَّلَفَ كَانَتْ مجَالِسُهُمْ لا تَنْقَطِعُ عَنِ رِوَايَاتِ كُتُبِ «الزُّهْدِ» تَألِيْفًا وتحْدِيْثًا وقِرَاءةً، بَلْ مَا تَحَمَّلَ تَارِيخُهُمْ إلاَّ بِما ذُكِرَ عَنْهُمْ مِنْ زُهْدِيَّاتٍ وتَقْوَى كَانَتْ مَاثِلَةً : في تألُّهٍ في عِبَادَةٍ، وإيْمانٍ في اسْتِقَامَةٍ، ووَرَعٍ في خَشْيَةٍ، وصَبْرٍ في يَقِيْنٍ!

والحَالَةُ هَذِه الَّتِي نَعِيْشُ؛ كَانَ لِزَامًا عَلَيْنَا أنْ نَأخُذَ حَظًّا مِنَ النَّظَرِ في كُتُبِ «الزُّهْدِ»، لاسِيَّما وأنَّ الدُّنْيَا (هَذِهِ الأيَّامَ)، قَدْ أخَذَتْ زُخْرُفَهَا، وتَزَيَّنَتْ لأهْلِهَا، واهْتَزَّتْ ورَبَتْ لِذِي عَيْنٍ، والله خَيْرٌ حَافِظًا!

فَهَيَّا إلى مَوْعُوْدِ قِرَاءةِ كُتُبِ «الزُّهْدِ»، وأخُصُّ مِنْهَا؛ كِتَابَ «الزُّهْدِ» للإمَامِ أحْمَدَ (٢٤١)، ووَكِيْعٍ (١٩٧) وغَيْرِهِما .

فَيَا طَالِبَ العِلْمِ : لا يَرَاكَ الله في هَذِهِ الدُّنْيَا إلاَّ زَاهِدًا، أو مُقْتَصِدًا، فَما الدُّنْيَا إلاَّ كَما قَالَ أحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ الله : «طَعَامٌ دُوْنَ طَعَامٍ، وشَرَابٌ دُوْنَ شَرَابٍ، ولِبَاسٌ دُوْنَ لِبَاسٍ، وصَبْرٌ أيَّامٍ قَلائِلَ!»، ذَكَرَهُ ابنُ تَيْمِيَّةَ وغَيْرُهُ .

وجِمَاعُ «الزُّهْدِ» إنْ سَألْتَ، فَهُوَ كَما قَالَهُ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ الله في "مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (١٠/ ٢١، ٦٤١) : هُوَ تَرْكُ الرَّغْبَةِ فِيْما لا يَنْفَعُ في الدَّارِ الآخِرَةِ، وهُوَ فُضُوْلُ المُبَاحَاتِ الَّتي لا يُسْتَعَانُ بِها عَلى طَاعَةِ الله، مَعَ ثِقَةِ القَلْبِ بِما عِنْدَ الله» انْتَهَى .

* * *

وأخْتِمُ بِهَذِه النَّصِيْحَةِ مِنْ قَوْلِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : «كَانَ الرَّجُلُ إذَا طَلَبَ العِلْمَ؛ لَمْ يَلْبَثْ أنْ يُرَى ذَلِكَ في تَخَشُّعِهِ، وبَصَرِه، ويَدِه،

وصَلاتِه، وزُهْدِه، وإنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُصِيْبَ البَابَ مِنْ أبْوَابِ العِلْـمِ فَيَعْمَـلَ بِه؛ فَيَكُوْنَ خَيْرًا لَه مِنَ الدُّنْيا ومَا فيها»[1] .

* * *

كَما أضِفْ هُنَا أنَّ بَرْنامجَنا في (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ)، كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى طَرِيْقَـةٍ خَاصَّةٍ مَعَ طُلابِنا (لَيْسَ إلاَّ!)، لِذَا لَمَّا لَمَسْنا ثَمَرَتَه عَلَى طُلابِنَا، وتَنَافُسَهُم فيه، أرْتَأيْنا نَشْرَهَا لعُمُوْمِ الفَائِدَةِ لَدَى أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ؛ عَلَّهَـا تَنْـشُرُ مَـوَاتَ أفْئِـدَةٍ أُخْرَى رَانَ عَلَيْها الجَهْلُ، واسْـتَعْبَدَتْهَا لُعَاعَـةٌ مِـنْ دُنْيـا زَائِلَـةٍ، واللهُ المُوفِّـقُ والهادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ .

وخِتَامًا؛ فَقَدْ ألْقَى القَلَمُ عَصَاهُ، واسْتَقَرَّ بِه النَّوَى، فَما أجَادَ بِـه فَمِـنْ فَضْلِ رَبِّي، ومَا أخَطأ فيه فَمِنِّي والشَّيْطَانِ، واللهُ ورَسُوْلُه مِنْهُ بَرِيْئانِ!

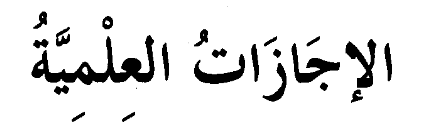
والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى عَبْدِهِ ورَسُوْلِهِ الأمِيْنِ

❑ ❑ ❑

---

(١) «الزُّهْدُ» للحَسَنِ البَصْرِيِّ (٩٢)، و«أخْلاقُ العُلَمَاءِ» للآجُرِّيِّ (٨٩) .





اللَّطَائِفُ العِلْمِيَّةُ



الإجَازَاتُ العِلْمِيَّةُ

الحَمْـدُ لله الَّـذِي حَمَـى هَـذِه الـشَّرِيْعَةَ الغَـرَّاءَ بِأئِمَّـةٍ أمْجَـادٍ، قيَّـدُوا شَوَارِدَهَا، وجَمَعُوا أوَابِدَهَا بِسَلاسِلِ الإسْنَادِ؛ فَتَمَّتِ الهِدَايَةُ بِاتِّصَالِ الرِّوَايَةِ، وكَمُلَتِ العِنَايَةُ بِبلُوْغِ الغَايَةِ مِنَ الدِّرَايَةِ، وصَارَتِ الأسَانِيْدُ المُتَّـصِلَةُ لِمَعَاهِـدِ العُلُوْمِ كَالسِّوَارِ، يَرْوِيْهَا الأكَابِرُ عَـنِ الأكَـابِرِ، ومِنْـهُ أضْـحَى الإسْـنَادُ مِـنَ الدِّيْنِ، وقُرْبَةً إلى رَبِّ العَالَمِيْنَ .

والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى عَبْدِهِ ورَسُوْلِهِ الأمِـيْنِ، وعَـلَى آلِـهِ، وصَـحْبِهِ الغُرِّ المَيَامِيْنَ، ومَنْ تَبِعَهُم بِإحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّيْنِ .

أمَّا بَعْدُ :

فَاعْلَمْ رَحِمَـكَ اللهُ أنَّ الإجَـازَةَ جَـائِزَةٌ عِنْـدَ فُقَهَـاءِ الـشَّرْعِ، وعُلَـمَاءِ الحَدِيْثِ، قَرْنًا فقَرْنًا، وعَصْرًا فعَصْرًا إلى زَمَانِنَا هَذَا .

وفي الإجَازَةِ كَمَا لا يَخْفَى عَلَى كُـلِّ ذِي بَـصِيْرَةٍ وبَـصَرٍ : دَوَامُ مَـا قَـدْ رُوِيَ وذُكِرَ، وبَقَاءُ مَا قَدْ كُتِبَ ونُثِرَ؛ فَهِيَ أنْسَابُ الكُتُبِ، ولَوْلاهَا لَقَالَ مَـنْ شَاءَ مَا شَاءَ، لِذَا كَانَ يَنْبَغِي التَّعْوِيْلُ عَلَيْهَا، والسُّكُوْنُ إلَيْهَا .

فَإذَا عُلِمَ هَذَا فَقَدْ مَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِلِقَاءِ عَدَدٍ مِنَ المَشَايِخِ الأعْلامِ؛حَيْثُ

أَخَذْتُ عَنْهُم باللِّقَاءِ والدَّرْسِ والمُلازَمَةِ والإجَازَةِ الخَاصَّةِ والعَامَّةِ لِكُتُبِ ومُصَنَّفَاتِ أَهْلِ الإسْلامِ؛ ووَجَدْتُ رِوَايَاتِهِم قَدْ اتَّصَلَتْ بِالمُصَنِّفِيْنَ، وسُلْسِلَتْ بِعُلَمَاءِ الدِّيْنِ المُحَقِّقِيْنَ.

* * *

فَكَانَتْ هَذِه بَعْضُ أَسْمَاءِ مِمَّنْ تَشَرَّفْتُ بأَخْذِ الإجَازَةِ عَنْهُم، حَيْثُ ذَكَرْتُ طَائِفَةً وأرْجَيْتُ أُخْرَى سَيَأتِي ذِكْرُهَا مُفَصَّلاً إنْ شَاءَ اللهُ في كِتَابِي: «**الوَجَازَة في الأَثْبَاتِ والإجَازَةِ**»، فَمِنْ هَؤلاءِ:

١ـ الشَّيْخُ المُعَمَّرُ، المُسْنِدُ الكَبِيْرُ، شَيْخُ الحَنَابِلَةِ: عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ العَقِيْلُ، حَيْثُ أجَازَنِي مُنَاوَلةً إجَازَةً عَامَّةً، وخَاصَّةً في ثَبَتِهِ: «**فَتْحِ الجَلِيْلِ فِي تَرْجَمَةِ وثَبَتِ شَيْخِ الحَنَابِلَةِ ابنِ عَقِيْلٍ**».

٢ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ السَّلَفِيُّ، المُسْنِدُ الكَبِيْرُ: أبو خَالِدٍ عَبْدُ الوَكِيْلِ ابنُ الشَّيْخِ المُحَدِّثِ والمُسْنِدِ الكَبِيْرِ عَبْدِ الحَقِّ الهَاشِمِيِّ.

٣ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ السَّلَفِيُّ المُعَمَّرُ: عَبْدُ العَزِيْزِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَعِيْدٍ الكِنَانِيُّ الزَّهْرَانِيُّ.

٤ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُسْنِدُ المُعَمَّرُ المُدَرِّسُ بالحَرَمِ المَكِّي: عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ حُسَيْنٍ رَاوَه المَكِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ، المُتَوَفَّى سَنَةَ (٥/ ٢/ ١٤٢٤)، حَيْثُ أجَازَنِي

مُنَاوَلةً إجَازَةً عَامَّةً، وخَاصَّةً في ثَبَتِهِ : «المَصَاعِدِ الرَّاوِيَةِ إلى الأسَانِيْدِ والكُتُبِ والمُتُوْنِ المَرْضِيَّةِ» .

٥ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ السَّلَفِيُّ، المُحَقِّقُ المُدَقِّقُ : أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ زُهَيْرُ بنُ مُصْطَفَى بنِ أَحْمَدَ الشَّاوِيْشُ الحُسَيْنِيُّ الهَاشِمِيُّ المَيْدَانيُّ الدِّمِشْقِيُّ، ثُمَّ الحَازِميُّ البَيْرُوتيُّ، المَوْلُوْدُ سَنَةَ (١٣٤٤) .

٦ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ السَّلَفِيُّ : صُبْحِي بنُ جَاسِمِ بنِ حُمَيدٍ الحُسَيني البَدْريُّ السَّامُرَّائيُّ حَفِظَهُ اللهُ، نَزِيلُ بَغْدَادَ، المَوْلُودُ سَنَة (١٣٥٥) .

٧ـ وكَذَا الشَّيْخُ القَاضِي : إسْمَاعِيْلُ بنُ عَلي الأكْوَعُ اليَمني .

٨ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ السَّلَفِيُّ : مُحَمَّدُ بنُ الأمِيْنِ بنِ أحْمَدَ بُو خُبْزَةَ الحَسَنِي التُّطْوانيُّ المَغْرِبيُّ حَفِظَهُ اللهُ، المَوْلُوْدُ سَنَةَ (١٣٥١) .

٩ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُفَسِّرُ الهُمَامُ، النَّحْوِيُّ الإمَامُ : مُحَمَّدُ الأمِيْنِ بنُ عَبْدِ اللهِ الهَرَرِيُّ الأرْمِيُّ الأثْيُوْبِيُّ، نَزِيْلُ مَكَّةَ، المَوْلُودُ سَنَةَ (١٣٤٨)، وقَدْ أجَازَني مُنَاوَلةً إجَازَةً عَامَّةً وخَاصَّةً فِي ثَبَتِهِ : «مَجْمَعِ الأسَانِيْدِ ومُظْفِرِ المَقَاصِيْدِ» .

١٠ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ اللُّغَوِي النَّاظِمُ الإمامُ السَّلَفِيُّ : مُحَمَّدُ بنُ الشَّيْخِ عَلِي بنِ آدَمَ بنِ مُوْسَى الأتْيُوْبِيُّ الوَلَّوِيُّ نَزِيلُ مَكَّةَ، وقَدْ أجَازَني مُنَاوَلةً إجَازَةً عَامَّةً وخَاصَّةً فِي ثَبَتِهِ : «مَوَاهِبُ الصَّمَدِ لِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ فِي أسَانِيْدِ

كُتُبِ العِلْمِ المُمَجَّد»، في مَنْزِلِه العَامِرِ بمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ .

١١ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ الهِنْدِي السَّلَفِيُّ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ الجَبَّارِ الفِرْيُوَائِي، نَزِيْلُ الرِّيَاضِ .

١٢ـ وكَذَا المُسْنِدُ الكَبِيْرُ، جَامِعُ الإجَازَاتِ الشَّهِيْرُ الشَّيْخُ : صَالِحُ أحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الأرْكَانِيُّ المَكِّيُّ، ثُمَّ الرَّابِغِيُّ الأثَرِيُّ السَّلَفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، المُتَوَفَّى سَنَةَ (١٤١٨) .

١٣ـ وكَذَا الشَّيْخُ العَلامَةُ السَّلَفِيُّ المُسْنِدُ المُحَدِّثُ : يَحْيَ بنُ عُثْمَانَ عَظِيْم آبَادِي المَكِّيُّ، حَيْثُ أجَازَني مُنَاوَلةً إجَازَةً عَامَّةً وخَاصَّةً فِي ثَبَتِهِ : «النَّجْمِ البَادِي» .

١٤ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُعَمَّرُ الكَبِيْرُ : عَبْدُ اللهِ بنُ أحْمَدَ بنِ مُحْسِنٍ اليَافِعِي النَّاخِبِيِّ، نَزِيْلُ جُدَّةَ، المُتَوَفَّى سَنَةَ (٢٤/ ٥/ ١٤٢٨)، وقَدْ أجَازَني الشَّيْخُ النَّاخِبِيُّ حَفِظَهُ اللهُ مُنَاوَلةً إجَازَةً عَامَّةً فِي جَمِيْعِ مُؤلَّفَاتِهِ ومَرْوِيَّاتِهِ، وأسَانِيْدِهِ، وخَاصَّةً فِي ثَبَتِهِ المُخْتَصَرِ : «إجَازَة عَامَّةٍ في الأسَانِيْدِ والمَرْوِيَّات» .

١٥ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُعَمَّرُ القَاضِي الشَّيْخُ : مُحَمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ بنِ مُحَمَّدٍ العَمْرَانِيُّ اليَمَنِيُّ، المَوْلُودُ بصَنْعَاء سَنَةَ (١٣٤٠) .

١٦ـ وكَذَا الشَّيْخُ السَّلَفِيُّ المُحَدِّثُ أبُو الأشْبَالِ صَغِيْرُ أحْمَدُ شَاغِفَ.

١٧ـ وكَذَا الشَّيْخ : أبو عَبْدِ العَزِيْزِ عَبْدُ الله بنُ أحْمَدَ بن عَليٍّ بَخِيْتٌ.

١٨ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ : عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ مُحَمَّدٍ آلِ سَعْدٍ المُطَيْرِيُّ، حَيْثُ أجَازَني إجَازَةً عَامَّةً فِي كُلِّ مَا تَصِحُّ لَهُ رِوَايَتُـه فِي ثَبَتِـهِ : «**العُجَالَةِ ببَعْضِ أسَانِيْدِي إلى كُتُبِ الإسْنَادِ والرِّوَايَةِ**» .

١٩ـ وكَذَا الشَّيْخُ الرُّحْلَةُ المُحَقِّقُ الحَنْبَلِيُّ المُسْنِدُ : مُحَمَّـدُ بـنُ نَـاصِرٍ العَجْمِيُّ .

٢٠ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُسْنِدُ الرُّحْلَةُ : يُوْسُفُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَرْعَـشْلي؛ حَيْـثُ أجَـازَني إجَـازَةً عَامَّـةً وخَاصَّـةً فِي ثَبَتِـهِ الكَبِـيْرِ : «**مُعْجَـمِ المَعَـاجِمِ والمَشْيَخَاتِ**» .

٢١ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُفَسِّرُ النَّحْوِيُّ : أبُو مُسْلِمٍ مُوْسَى بنُ سُـلَيْمانَ بـنِ إبْـرَاهِيْمَ النَّـوَاجِيُّ؛ حَيْـثُ قَـرَأتُ عَلَيْـه القُـرْآنَ كَـامِلاً بِقِـرَاءَتَيْ : حَفْـصٍ، وقَالُوْنَ .

٢٢ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ الأثَرِيُّ : عَبْـدُ الـرَّحْمَنِ بـنُ عُمَـرَ الفِقِيْـهُ الغَامِديُّ الأزْدِيُّ .

٢٣ـ وكَذَا الشَّيْخُ : أبُو عَلَوِي حَامِدُ بنُ عَلَوِي الكَاف .

٢٤ـ وكَذَا الشَّيْخُ النَّحْوِيُّ المُعَمَّرُ : حَمَدُّو الشِنْقِيْطِيُّ المَدَنِيُّ .

وهُنَاكَ (ولله الحَمْدُ) غَيْرُ مَا ذُكِرَ مِـنَ الإجَـازَاتِ العِلْمِيَّـةِ، إلاَّ أنَّنـي اكتَفَيْتُ بذِكْرِ جُملَةٍ مِنْ أجِلَّةِ أهْلِ الأجَايِزِ، واللهُ أعْلَمُ .

***

كما أنَّني أخَذْتُ الإجَازَةَ العَامَّةَ لأهْـلِ العَـصْرِ عَـنْ كَثِـيْرٍ مِـنْ أهْـلِ العِلْمِ ممَّنْ أدْرَكْتُهُم، كَما أجَازَهَا جَماهِيْرُ أهْلِ العِلْمِ والرِّوَايَةِ؛ فَمِنْ هَؤلاءِ :

٢٥ـ الشَّيْخُ : سُلَيْمانُ بنُ عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّنِيْعُ (١٣٨٩) .

٢٦ـ الشَّيْخُ : مُحَمَّدُ إبْرَاهِيْمُ الخَتَنيُّ المدَنيُّ (١٣٨٩) .

٢٧ـ الشَّيْخُ : عَلَوِيُّ بنُ عَبَّاسٍ المَالِكيُّ المكِّيُّ (١٣٩١) .

٢٨ـ الشَّيْخُ : سَالمُ بنُ أحمَدَ آلِ جَنْدَانُ (١٣٩٥) .

٢٩ـ الشَّيْخُ : سُلَيْمانُ بنُ عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ مُحَمَّدٍ الحَمْدَانُ (١٣٩٧) .

٣٠ـ الشَّيْخُ : قَاسِمُ بنُ أحمَدَ البَحْرُ (١٣٩٧) .

٣١ـ الشَّيْخُ : حَسَنُ بنُ مُحَمَّدٍ المشَّاطُ (١٣٩٩) .

٣٢ـ الشَّيْخُ : مُحَمَّدُ صَالِحُ الخَطِيْبُ بنُ أحمَدَ بنِ عَبْدِ الرَّحمنِ الحَسَنِيُّ الدِّمِشْقِيُّ (١٤٠١) .

٣٣ـ الشَّيْخُ : عَبْدُ الله بنُ سَعِيْدٍ اللَّحْجِيُّ المكِّيُّ (١٤١٠) .

٣٤ـ الشَّيْخَةُ :عَائِشَةُ بِنْتُ طَاهِرِ بنِ عُمَرَ سُنْبُل المَدَنِيَّةُ (١٤١٥) .

٣٥ـ الشَّيْخُ : إبْرَاهِيْمُ بنُ عُمَرَ بنِ عَقِيْلٍ (١٤١٥) .

٣٦ـ الشَّيْخُ : أحمَدُ مَشْهُورُ الحَدَّادُ (١٤١٦) .

٣٧ـ الشَّيْخُ : عَبْدُ المالِكِ بنُ عَبْدِ القَادِرِ بنِ عَليٍّ الدَّرْنَاوِيُّ، الشَّهِيْرُ بالطَّرَابُلُسيِّ المكِّيُّ (٩/ ٢/ ١٤١٧) .

* * *

فَأقُوْلُ وبالله التَّوفيقُ : وبِمَا أنَّ اللهَ تَعَالى قَدْ مَنَّ عليَّ بإجَازَاتٍ عَامَّةٍ في جَمِيْعِ فُنُونِ عُلُومِ الشَّرِيْعَةِ الإسْلامِيَّةِ، فإنِّي لَنْ أحَجِّرَ وَاسِعًا في إجَـازَةِ طَلَبَـةِ العِلْمِ؛ لاسِيَّما الَّـذِيْنَ أخَـذُوْا طَرِيْقًـا إلى (المَـنْهَجِ العِلْمِـيِّ) قِـرَاءةً وشَرْحًـا، وذَلِكَ بالشَّرْطِ المُعْتَبَرِ عِنْدَ أهْلِ الحَدِيْثِ والأثَرِ!

وقَدْ ذَكَرْتُ مَـا للإجَـازَةِ مِـنْ شُرُوْطٍ وآدَابٍ، مِـنْ خِـلالِ مَبَاحِـثَ ومَسَائِلَ نَفِيْسَةٍ، كَما هُوَ مَذْكُوْرٌ في كِتَابي «**الوَجَازَةِ في الأثْبَاتِ والإجَازَةِ**»[1] .

❑❑❑

---

(١) مَلْحُوظَـةٌ : أيُّ اسْتِفْـسَارٍ عَـنِ الإجَـازَاتِ مِـنَ الـشَّيْخِ، فَعَـنْ طَرِيْـقِ مَوْقِـعِ : (www.thiab.com) ، نَافِذَةِ المُرَاسَلَةِ، وشُكْرًا (المُشْرِفُ على المَوْقِعِ) .



اللَّطَائِفُ العِلْمِيَّةُ

❑ ❑ ❑

ثَبَتُ المَرَاجِعِ

فِهْرِسُ الآيَاتِ

فِهْرِسُ الأحَادِيْثِ

فِهْرِسُ الآثَارِ

فِهْرِسُ الأشْعَارِ

الفَهَارِسُ المَوْضُوْعِيَّةُ



ثَبتُ المَرَاجِعِ

«القُرْآنُ الكَرِيْمِ» .

١. «أَخْلاقُ العُلَمَاءِ» للآجُرِّي .

٢. « الزُّهْدُ» لأَحْمَدَ .

٣. «أَدَبُ الدُّنْيا والدِّيْنِ» للمَاوَرْدِيِّ .

٤. «اقْتِضَاءُ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ .

٥. «اقْتِضَاءُ العِلْمِ العَمَلَ» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ .

٦. «الآدَابُ الشَّرْعِيَّةُ» لابنِ مُفْلِحٍ .

٧. «البِدَايَةُ والنِّهَايَةُ» لابنِ كَثِيْرٍ .

٨. «البَرْمجَةُ اللُّغَوِيَّةُ العَصَبِيَّةُ» لأَحْمَدَ الزَّهْرَانِيِّ .

٩. «الجامِعُ لآدَابِ الرَّاوي» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ .

١٠. «الجَلِيْسُ الصَّالِحُ» لِسِبْطِ ابنِ الجَوْزِيِّ .

١١. «الحِلْيَةُ» لأَبِي نُعَيْمٍ .

١٢. «الزُّهْدُ» للحَسَنِ البَصْرِيِّ .

١٣. «السِّلْسِلَةُ الصَّحِيْحَةُ» للأَلْبَانِيِّ .

١٤. «السِّلْسِلَةُ الضَّعِيفَةُ» للألْبَانِيِّ .

١٥. «الفَقِيْهُ والمُتَفَقِّهُ» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ .

١٦. «الفَوَائِدُ» لابنِ القَيِّمِ .

١٧. «الكَامِلُ» لابنِ عَدِيٍّ .

١٨. «المُجَالَسَةُ» لأبِي بَكْرٍ الدِّيْنَورِيِّ .

١٩. «المَدْخَلُ» لابنِ بَدْرَانَ .

٢٠. «المَدْخَلُ» للبَيْهَقِيِّ .

٢١. «المُقَدِّمةُ» لابنِ خُلْدُون .

٢٢. «بَدَائِعُ الفَوَائِدِ» لابنِ القَيِّمِ .

٢٣. «بَهْجَةُ المَجَالِسِ» لابنِ عَبْدِ البرِّ .

٢٤. «بَيَانُ العِلْمِ الأصِيْلِ» لعَبْدِ الكَرِيْمِ الحُمَيْدِ .

٢٥. «تارِيْخُ دَارِ السَّلامِ» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ .

٢٦. «تارِيْخُ دِمِشْقٍ» لابنِ عَسَاكِرٍ .

٢٧. «تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتكَلِّمِ» لابنِ جَمَاعَةَ .

٢٨. «تَرْتِيْبُ المَدَارِكِ» للقَاضِي عِيَاضٍ .

٢٩. «تَعْلِيْمُ المُتعَلِّمِ طَرِيْقَ التَّعَلُّمِ» للزَّرْنُوْجِيِّ .

٣٠. «تَفْسِيْرُ القُرْآنِ العَظِيْمِ» لابنِ كَثِيْرٍ .

٣١. «جَامِعُ العُلُوْمِ والحِكَمِ» لابنِ رَجَبٍ .

٣٢. «جَامِعُ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابنِ عَبْدِ البرِّ .

٣٣. «جَذْوَةُ المُقْتَبِسِ» للحُمَيْدِيِّ .

٣٤. «حِلْيَةُ طَالِبِ العِلْمِ» لبكرٍ أبو زَيْدٍ .

٣٥. «دِيْوَانُ الشَّافِعِيِّ» .

٣٦. «رَوْضَةُ العُقَلاءِ» لابنِ حِبَّانَ .

٣٧. «زَادُ المَعَادِ» لابنِ القَيِّمِ .

٣٨. «زَغَلُ العِلْمِ» للذَّهَبِيِّ .

٣٩. «سُنَنُ ابنِ ماجَه» .

٤٠. «سُنَنُ أبي دَاوُدَ» .

٤١. «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ» .

٤٢. «سُنَنُ النَّسائيِّ» .

٤٣. «سِيَرُ أعْلامِ النُّبلاءِ» للذَّهَبِيِّ .

٤٤. «شَرْحُ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ» لابنِ رَجَبٍ الحنْبِليِّ .

٤٥. «شَرْحُ حَدِيْثِ مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ» لابنِ رَجَبٍ الحَنْبَليِّ .

٤٦. «صَحِيْحُ البُخَارِيِّ».

٤٧. «صَحِيْحُ مُسْلِمٍ».

٤٨. «صَحِيْحُ وضَعِيْفُ السُّنَنِ» للألبانيِّ.

٤٩. «صَفَحَاتٌ مِنْ صَبْرِ العُلَمَاءِ» لأبِي غُدَّةَ.

٥٠. «صَيْدُ الخَاطِرِ» لابنِ الجَوْزِيِّ.

٥١. «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ» للسُّبْكِيِّ.

٥٢. «عُيُوْنُ الأخْبَارِ» لابنِ قُتَيْبَةَ.

٥٣. «مَجْمُوْعُ الفَتَاوَى» لابنِ تَيْمِيَّةَ.

٥٤. «مَجْمُوْعُ رَسَائِلِ ابنِ رَجَبٍ» جَمْعُ أبي مُصْعَبٍ الحَلْوَانِيُّ.

٥٥. «مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ» لابنِ القَيِّمِ.

٥٦. «مُسْتَدْرَكُ الحَاكِمِ».

٥٧. «مُسْنَدُ أحْمَدَ».

٥٨. «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» لابْنِ القَيِّمِ.

٥٩. «مُقَدِّمَةُ المَجْرُوْحِيْنِ» لابنِ حِبَّانَ.

❑❑❑

فِهْرِسُ الآيَاتِ

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج٧٨] .... (٢٤)

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [طه١٣١] ....(١٤٣)

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة١١] .. (١٥)

❑ ❑ ❑

فِهْرِسُ الأحَادِيْث

❑ ❑ ❑

فِهْرِسُ الآثَارِ

❑ ❑ ❑



فِهْرِسُ الأشْعَارِ

النَّاسُ في جِهَةِ التَّمْثِيْلِ أكْفَاءُ ... أبُوْهُمُ آدَمُ والأُمُّ حَوَّاءُ

نَفْسٌ كَنَفْسٍ وأرْوَاحٌ مُشَاكِلَةٌ ... وأعْظُمٌ خُلِقَتْ فِيهِم وأعْضَاءُ

فإنْ يَكُنْ لَهُم مِنْ أصْلِهِم حَسَبٌ ... يُفَاخِرُوْنَ بِه فالطِّيْنُ والمَاءُ

مَا الفَضْلُ إلاَّ لأهْلِ العِلْمِ إنَّهُم ... عَلَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أدِلاءُ

وقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُه ... وللرِّجَالِ عَلَى الأفْعَالِ أسْمَاءُ

مَا أكْثَرَ العِلْمُ ومَا أوْسَعَه ... مَنَ الَّذِي يَقْدِرُ أنْ يَجْمَعَه

إنْ كُنْتَ لا بُدَّ لَهُ طَالِبًا ... مُحَاوِلاً فالْتَمِسْ أنْفَعَه

ألاَ لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إلاَّ بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِئُكَ عَنْ مَجْمُوْعِها بِبَيَانِ

ذَكَاءٌ وحِرْصٌ واجْتِهَادٌ وبُلْغَةٌ ... وإرْشَادُ أُسْتَاذٍ وطُوْلُ زَمَانِ

أَبو الطَّيِّبِ المُتنبِّي : .... (٣٦)

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ — وتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

وتَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغِيْرِ صِغَارُها — وتَصْغُرُ في عَيْنِ العَظِيْمِ العَظَائِمُ

ابنُ هِشَامٍ النَّحْوِيُّ : .... (٥٨)

ومَنْ يَصْطَبِرْ للعِلْمِ يَظْفَرْ بنَيْلِهِ — ومَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى البَذْلِ

ومَنْ لَمْ يُذِلَّ النَّفْسَ في طَلَبِ العُلا — يَسِيْرًا يَعِشْ دَهْرًا طَوِيْلاً أخَا ذُلِّ

رَاجِزٌ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ : .... (٦١)

فإنْ جَهِلْتَ مَا سُئِلْتَ عَنْهُ — ولَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْهُ

فَلا تَقُلْ فيه بِغَيْرِ فَهْمِ — إنَّ الخَطَأ مُزْرٍ بأَهْلِ العِلْمِ

وقُلْ إذَا أعْيَاكَ ذَاكَ الأمْرُ — مَالي بِمَا تَسْأَلُ عَنْهُ خَبَرُ

فَذَاكَ شَطْرُ العِلْمِ عَنِ العُلَمَا — كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُوْلُ الحُكَمَا

شَاعِرٌ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ : .... (٦٢)

جَهِلْتَ فَعَادَيْتَ العُلُوْمَ وأَهْلَهَا — كَذَاكَ يُعَادِي العِلْمَ مَنْ هُوَ جَاهِلُه

ومَنْ كَانَ يَهْوَى أنْ يُرَى مُتَصَدِّرًا — ويَكْرَهُ «لا أدْرِي» أُصِيبَتْ مَقَاتِلُه

أبو الحَسَنِ عَلَيُّ الجُرْجَانِيِّ : .... (٩٣)

وَلَـوْ أنَّ أهْلَ العِلْمِ صَانُوْهُ صَانَهُم ... وَلَوْ عَظَّمُوْهُ في النُّفُوْسِ لَعُظِّمَا

ولَكِنْ أهَـانُوْهُ فَهَانُـوا ودَنَّسُـوْا ... مُحَيَّاهُ بـالأطْمَـاعِ حَتَّى تَجَهَّمَـا

أبو مُحَمَّدٍ الحَرِيْرِيُّ : .... (١١٦)

.... فَقِسْ عَلَى قَوْلِي تَكُنْ عَلامةً!

شَاعِرٌ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ : .... (١٠٩)

أتَانَـا أنَّ سَهْـلاً ذَمَّ جَهْـلاً ... عُلُوْمًا لَيْسَ يَعْرِفُهُنَّ سَهْلُ

عُلُوْمًا لَوْ دَرَاهَا مَا تَلاهَـا ... ولكِنَّ الرِّضَى بالجَهْلِ سَهْلُ

شَاعِرٌ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ : .... (١٤٤)

كُـلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَأُهَـا مِنَ النَّظَـرِ ... ومُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ في قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْـكَ السِّهَامِ بَـلا قَوْسٍ ولا وَتَـرِ

شَاعِرٌ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ : .... (١٤٤)

وكُنْتَ مَتَى أرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا　　لقَلْبِكَ يَوْمًا أتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ

رَأيْتُ الَّذِي لا كُلُّهُ أنْتَ قَادِرٌ　　عَلَيْهِ ولا عَنْ بَعْضِهِ أنْتَ صَابِرُ

❏ ❏ ❏

الفَهَارِسُ المَوْضُوْعِيَّةُ[1]

---

(١) كُلُّ مَا كَانَ مِنِ اسْتِدْرَاكٍ أو فَائِدَةٍ أو غَيْرِهِما في الحَاشِيَةِ، فَقَدْ رَمَزْنا لَهُ بِحَرْفِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ (ح) تَمْيِيزًا لَها عَنْ أصْلِ الكِتَابِ .

❑❑❑



سِلْسِلَةُ إِصْدَارَاتِ المُؤَلِّفِ

١ـ «الرِّيْحُ القَاصِفُ عَلَى أَهْلِ الغِنَاءِ والمَعَازِفِ» مُجَلَّدٌ .

٢ـ «كَفُّ المُخْطئ عَنِ الدَّعْوةِ إلى الشِّعرِ النَّبطي» مُجَلَّدٌ .

٣ـ «أَحْكامُ المُجاهِرِيْنَ بالكَبَائِرِ» مُجَلَّدٌ .

٤ـ «قِيادَةُ المَرأةِ للسيَّارةِ بَيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ» غِلافٌ .

٥ـ «تَسْدِيْدُ الإصَابَةِ فيما شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابةِ» مُجَلَّدٌ .

٦ـ «فِلِسْطِيْنُ والحَلُّ الإسْلامِي» غِلافٌ .

٧ـ «فِقْهُ الإنْكَارِ باليدِّ ـ دِرَاسَةٌ ونَقْدٌ» غِلافٌ .

٨ـ «كُسُوْفُ الشَّمْسِ بَيْنَ التَّخْوِيْفِ والتَّزْيِيْفِ» غِلافٌ .

٩ـ «النَّكْسَةُ التَّارِيخِيَّةُ» غِلافٌ .

١٠ـ «حَقِيْقَةُ كُرَةِ القَدَمِ» مُجَلَّدٌ . دِرَاسَةٌ شَرْعِيَّةٌ مِنْ خِلالِ فِقْهِ الوَاقِعِ.

١١ـ سِيْرَةُ «شَيْخِ الإسْلامِ ابنِ عُثَيْمِيْنَ» غِلافٌ .

١٢ـ سِيْرَةُ «شَيْخِ الطَّبَقَةِ حُمُوْدِ العُقْلاءِ» غِلافٌ .

١٣ـ «المَنْهَجُ العِلْمِيُّ لطُلابِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ» مُجَلَّدٌ .

١٤ـ «تَحْرِيْرُ المَقَالِ في عُشَّاقِ طَلالٍ» غِلافٌ .

١٥ـ «ظَاهِرَةُ الفِكْرِ التَّربَوِيِّ» مُجَلَّدٌ .

١٦ـ «التَّعْلِيْقَاتُ العِلْمِيَّةُ عَلَى العَقِيْدَةِ الوَاسِطِيَّةِ» غِلافٌ .

١٧ـ «الوَجَازَةُ في الأَثْبَاتِ والإجَازَةِ» مُجَلَّدٌ .





سَيَصْدُرُ للمؤلِّفِ إنْ شَاءَ الله

١ـ «مَسَالِكُ التَّحْدِيْثِ شَرْحُ اخْتِصَارِ عُلُوْمِ الحَدِيْثِ» شَرْحٌ كَبِيْرٌ .

٢ـ «المَرْجِعُ شَرْحُ الرَّوْضِ المُرْبِعِ» شَرْحٌ كَبِيْرٌ .

٣ـ «الأَضْوَاءُ الأَثَرِيَّةُ عَلَى الرِّسَالَةِ التَّدْمُرِيَّةِ» شَرْحٌ كَبِيْرٌ .

٤ـ «الدُّرَرُ البَهِيَّةُ شَرْحُ مُتَمِّمَةِ الآجُرُّومِيَّةِ» شَرْحٌ كَبِيْرٌ .

٥ـ «مُتَمَّمَةُ الآجُرُّمِيَّة» للحَطَّابِ . تَحْقِيْقٌ .

٦ـ «عِزَّةُ العُلَماءِ» .

٧ـ «أدَبُ الكِتَابِ الإسْلاميِّ» .

٨- «التَّحْقِيقُ في إطْلاقِ التَّكفِيرِ والتَّفْسِيقِ» .

٩ـ «الاعْتِبَارُ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ والآثَارِ» .

وغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الكُتُبِ المُفيدَةِ إنْ شَاءَ الله .

